9me Année No. 403

Lundi - 24 - 3 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٠٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٤ مارس سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

دوائر معارفنا الاسلامية

للأستاذ عباس محمود العقاد

اقتُرِح على المجمع اللغـوى تأليف معجم لألفاظ القرآن الكريم ، فذهبت أنظر فى المعاجم والموسوعات التى عندنا وعند غيرنا من هذا القبيل ، فلم ألبث أن رأيت بعد مقابلة يسيرة أننا فى هذا الباب جد فقراء

عنـد الأوربيين موسوعات مختلفة الأحجام والأغراض لأسفارهم الدينية ومأثوراتهم المقدسة

فللتوراة والإنجيل موسوعات صغيرة تفسّر الأسماء والأعلام والوقائع والألفاظ ، فلا تذكر فى الكتابين اسم رجل أو بلد أو قبيل إلا استطعت أن ترجع إليه فى موضعه ، فتعرف شيئاً عن تاريخه وموقعه ومناسبة ذكره ؛ فإذا بك أمام كتاب يكاد أن يفيدك فى كل شيء ، ولا تنحصر فائدته فى فهم التوراة والإنجيل

ولهذين الكتابين موسوعات صغيرة أيضاً تتناول الآيات والأجزاء على الترتيب ، فتقرن بين بعضها وبعض ، وتقابل بين القرائن المختلفة من قديم وحديث ، وتفسر مدلولاتها على حسب العصور والمصادر اللغوية ، فتجمع بين معرفة الشريعتين الموسوية والمسيحية ، وكل معرفة لها بهاتين الشريعتين اتصال

وعنـدهم موسوعة للطيور التي ورد ذكرها فى التوراة ،

الفهـــــرس

صفحة			
٣٣٧	دوائر معارفنا الاسلامية ...	:	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٤٠	الحديث ذو شجون	:	الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٤٤	فى المعقـد	:	لأستاذ جليل ... ...
٣٤٦	الغناء والموسيق وحالهما فى مصر والغرب	}	الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٣٤٩	الزمن الساحر	:	الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٥١	الديمقراطية البريطانية وأثرها فى الحرب الحاضرة	}	الأستاذ (م . ح) ... ...
٣٥٣	على هامش حادث أليم ...	:	الأستاذ عبد الله حسين ...
٣٥٤	مرثية محمد محمود باشا [قصيدة]	:	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٣٥٥	مجد بغداد ... ... «	:	الأستاذ محمود رمزى نظيم ...
٣٥٦	الفنون الايرانيـة فى العصر الاسـلامى	}	الدكتور محمد مصطفى ... ...
٣٥٩	حول العصبية فى الجماعات الدينية	:	الدكتور عبد الوهاب عزام ...
	شعر ذو وجهين	:	. ...
	إلى ناقدى لغة فى مقالى الثالث	:	الأستاذ السـباعى بيومى ...
٣٦٠	المجمع اللغوى وتشجيع الانتاج الأدبى	}	. ...
	حول مبدع فن المقامات ...	:	الأستاذ محمد على النجار ...
٣٦١	من أدب آل عبد الرازق ...	:	الأستاذ محمد جاد الرب ...
	رحـلة الشتاء والصيف ...	:	نجدة فتحى صفوة ... ...
٣٦٢	شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى	}	. ...
	تصويب	:	الأستاذ (ا . ع) ... ...
	تصويب	:	الأديب أحمد محمد شكم ...
٣٦٣	سكون العاصـفة [قصـة]	:	الأستاذ محـمود البدوى ...

٢٢ - ١٦

أو للأشجار والأزهار التى تكلم عنها الأنبياء ، فيستفيد منها الباحث فى علمى الحيوان والنبات ، كما يستفيد منها الباحث فى الدين

أما الموسوعات المطوّلة الشاملة فهى ذخائر من المعلومات لا تند عنها دانية ولا قاصية من موضوعات المسيحية أو الموسوية ، وقد يلتبس على القارىء الأمر بين دوائر المعارف العامة التى تتناول كل شىء و كل مادة ، وبين دوائر المعارف الدينية التى يظن من عنوانها أنها مخصصة ولو بعض التخصيص لناحية من نواحى الثقافة الانسانية

بل عندهم معاجم صغيرة للإسلام ليس لها نظير فى اللغة العربية ولا فى لغة من اللغات التى يتكلم بها المسلمون

من ذلك قاموس الإسلام الذى وضعه توماس باترك هيوز Thomas Patrick Hughes وطبعه قبل نيف وخمسين سنة ثم أعيد طبعه قبل بضع سنوات

فهذا القس قضى فى التبشير بين المسلمين والبرهميين والبوذيين ببلاد الهند أكثر من عشرين سنة ، ودرس خلال ذلك ما استطاع أن يدرسه من التواريخ والمباحث الإسلامية ، ثم جمعها فى هذا القاموس أو هذا المعجم كما قال هداية للموظفين الذين يتولون الحكم بين المسلمين ، ومساعدة للمبشرين الذين يجادلون علماء الإسلام ، وللسائحين الذين يطوفون بلاد المشرق ، وللباحثين الذين ينظرون فى المقارنة بين الأديان ، ولكل من يشغله عمله أو نزعة فكره بشأن من شئون المائة والخمسة والسبعين مليونا « هكذا » من الأناسىّ الذين يتبعون محمداً عليه السلام .

ولكنى أقول معترفاً إننى أرجع إلى هذا القاموس حين يستعصى على الرجوع إلى المطولات الدينية للوقوف العاجل على مسألة من المسائل الإسلامية ، سواء تناولت الفقه أو التاريخ أو تقويم البلدان ، ولا أرى مناصاً من مراجعة هذا القاموس وأمثاله على على بما فيها من الزيغ المقصود ومن التعصب الذى لا تخلو منه كتب المبشرين

ويتفق كثيراً أن يخوض بعض الجلساء فى مسألة من مسائل الفقه الإسلامى لا يحضرنا الفقيه الحجة الذى نستفتيه فيها ، أو نستدل منه على مراجعها ، فما هى إلا لحظات حتى أوافيهم بالفتوى الجملة ، أو بالدلالة على مظانها ومواضع استقصائها . ويعجبون فيزداد عجبهم حين أطلعهم على قاموس من هذه القواميس التى ليس أسهل من البحث فيها : كتاب انجليزى يدلنا أسرع دلالة على مراجعنا نحن المسلمين أبناء العربية ... فلم لا نعجب ويعجبون ؟!

إننا فقراء

وقد نعلل الفقر فى علوم الدنيا بخروجها فى الزمن الحديث من أيدينا ، فهل خرجت من أيدينا كذلك علوم ديننا ؟ وهل البواعث الدينية التى عندنا أقل من أن تحقق لنا ما يحققه الغربيون ببواعث الشوق إلى المعرفة أو بواعث الشوق إلى السيادة ؟

الحق أن الشوق إلى معرفة الدين نفسه محتاج قبل ذلك إلى شوق المعرفة فى أعم معانيها ، وأن العجز عن العلم والسيادة يورث العجز عن الإيمان والعقيدة ، حتى بين المتدينين المتقدين

* * *

وإنى لأجيل الفكر فى هذا وأشباهه إذا بالمجلد الرابع من « دائرة المعارف الإسلامية » يصل إلى يدى ، وهى الدائرة التى ألفها نخبة من المستشرقين باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وثابر على نقلها إلى اللغة العربية الأدباء الأساتذة : « أحمد الشنتناوى ، حافظ جلال ، عبد الحميد يونس ، إبراهيم خورشيد » من متعلمى الأدب والقانون

قلت : وهذا عمل ضخم كنا نحن أبناء العربية أولى بابتدائه وسبق الأمم كافة إليه

واستضخمت مع ذلك نجاح هؤلاء الأدباء الشبان فى الوصول بالترجمة إلى هذه المرحلة البعيدة ، لأن عملهم فى ترجمتها أصعب بين المشارقة من عمل المستشرقين فى تأليفها وتحضيرها بين البيئات الأوربية

هناك تمهيد ملايين يعين على هذه الأعباء ، وهنا تمهيد أفراد معدودين قلما يعاونهم أحد ، وقد يثنى عزائمهم ملايين ! !

فى بضع سنوات أتم مترجمو الدائرة الإسلامية ترجمة آلاف ثلاثة من الصفحات المزدوجة : كلها مصطلحات وإشارات مختزلة وإحالة إلى مراجع مختلفة ، وفيها من شعاب المعرفة ما ليس مقتصراً على الدين ولا على التاريخ ولا على السياسة ولا على الواقع الأرضية ، بل يشمل هؤلاء جميعاً ويزيد عليها بما ليس يحصى

ولا بد أن يدخل فى حساب هذه السنوات حساب التبويب والتقسيم وإعادة الحروف الإفرنجية إلى الأبجدية العربية

فقبل أن يتناول القلم بالترجمة صفحة من ألوف الصفحات التي اكتظت بها المجلدات الإفرنجية ينبغي أن تترجم المواد واحدة واحدة ثم تدوّن في أجذاذها وتنتظم في ترتيبها الجديد: فلا تأتي الكلمات المبدوءة بحرف العين في المجلد الأول، بل تؤخر إلى موضعها من ترتيب الأبجدية العربية، ولا تبقى «أشبيلية» مثلاً في حرف السين كما تكتب بالإفرنجية بل تقدم إلى حرف الهمزة، ولا تتأخر أسماء اسماعيل وإبراهيم وإدفو إلى الحرف التاسع أو الخامس بل يؤتى بها مع الحرف الأول والأجزاء الأولى. وليس هذا العناء بأقل من عناء الابتداء بتحضير المواد والكلمات. ولعل النقل وإعادة الترتيب عرضة لأخطاء لا يتعرض لها البادئون بتدوين الأسماء كما تكتب في لغات الأوربيين

فالوقت الذي يقضى في هذا التبويب الجديد ليس بالوقت القصير، واستدراك الخطأ فيه من أصعب الأمور، ووراء مشكلة الوقت مشكلة الإقبال على هذه الأعمال، ومشكلة المثابرة وهي أعضل ما نعانيه في كل عمل مديد الأجل متشعب الفروع، ومشكلة الأزمات الدولية والأزمات الداخلية التي تثقل على كاهل التجارة الرائجة والسلع الضرورية للمعيشة اليومية، فكيف بتجارة العلم وسلع القراءة!

قال الأدباء المترجمون في الجزء الأول من أجزاء الترجمة العربية: «... اختمرت فكرة ترجمة تلك الدائرة في رءوسنا منذ أعوام ثلاثة فعكفنا على دراسة المشروع من جميع نواحيه وألممنا بكل الصعوبات المادية والمعنوية التي كثيراً ما تعترض الأعمال العلمية والأدبية في مصر، وظلت هذه الصعوبات حائلاً بيننا وبين تحقيق أمنيتنا، ولعلها كانت عين الصعوبات التي وقفت في سبيل غيرنا ممن حاولوا تحقيق تلك الأمنية، حتى لاح لنا أننا كنا مخطئين حين حاولنا أن نحل الصعاب كلها دفعة واحدة، فرأينا أخيراً أن نقسم العمل إلى أقسام ثم نشرع في التطبيق خطوة خطوة، وشعارنا أن كل شيء متيسر مستطاع»

وعندنا أن هـذا الخاطر هو العلامة الأولى للعزيمة العاملة، لأن القدرة على تقسيم الصعوبات ضرب من القدرة على تذليلها، وليس أدل على النصر من قدرة القائد على تفرقة الخصوم وهزيمتهم فرقة بعد فرقة. فلو لم يكن الأدباء مترجمو الدائرة أهلاً لفضيلة المثابرة لما كانوا منذ البداية أهلاً لتصغير الصعوبات بتفريقها والتغلب على أجزائها، أو على رهبة الإحجام التي تلازم من يجمع الصعوبات ويستضخمها ويزيد عليها من الوهم ما ليس فيها

لقد شرع بعض الكبراء كما شرع بعض الدواوين الحكومية في طبع موسوعات دون هذه الموسوعة في حجمها وتعقيدها، وكان منها ما ليس يحتاج إلى ترجمة قبل طبعه، ومنها ما يحتاج إلى ترجمة ولا يحتاج إلى إعادة تبويب. ثم وقفوا عند البداية أو بعد خطوة قصيرة من البداية، فانفراد الأدباء مترجمي الدائرة بالمثابرة على هذا العمل الكبير مزية جديرة بالتسجيل في حياتنا الفكرية، ولهم حق في التهنئة بما جاهدوا وثابروا على قدر هذه الفضيلة النادرة، وعلى قدر الحاجة إلى تلك الدائرة، وهي حاجة توجبها الغيرة القومية كما توجبها الرغبة في العلم والثقافة

لكننا لا نكتفي بالتهنئة، بل نضيف إليها اقتراحاً في صدد ما أسلفناه من شكوى الافتقار إلى الموسوعات الموجزة في أمثال هذه الموضوعات. فمن اليسير على من ينهضون بعبء الدائرة الكبرى أن يتابعوا اختصارها وهم يترجمونها وينشرونها لتخلص لهم من ذلك في سياق العمل موسوعة صغيرة ينتفع بها عدد من القراء أكبر ممن ينتفعون بالموسوعة الكبيرة؛ بل ينتفع بها من لا يقدرون على التوسع في العربية ولا في اللغات الأفرنجية، وهم أحوج إلى النفع وأولى بالعناية، وليس النقص الذي نتمه بتفهيم هؤلاء دون النقص الذي يتم باستيفاء مراجع الإفاضة والاستقصاء.

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

هذا عيب ، ولكنه جميل — الظلم البغيض — عتاب موجه إلى الأستاذ الزيات — الدين الاسلامى فى المدارس الأجنبية — تجربة جديدة للتعاون بين المصريين والأجانب — دفع اعتراض — هل انتهزت وزارة المعارف فرصة الاضطرابات الدولية لتصفى ما بينها وبين المدارس الأجنبية ؟ — للحق والتاريخ .

هذا عيب ، ولكنه جميل

أشار أديب غاب عنى اسمه فى مقال نشره بمجلة « الرسالة » إلى أنى أتقاضى أجراً على ما أنشر من المقالات والبحوث فى الجرائد والمجلات ، وهى إشارة جرت مجرى التعريض ، فكان معناها أن قبول الأجر على المقالات والبحوث عيب ، وهو حقيقةً عيب ، ولكنه عيبٌ جميل ، إن كان الكسب الشريف من العيوب

ويظهر أن جمهور القراء فى مصر لا يعرفون ما صارت إليه الصحافة المصرية ، فهى اليوم أعمال اقتصادية يراد منها الربح كما يراد التثقيف . ورجال الاقتصاد لا ينفقون إلا بحساب ، ولا يخرج الدرهم من أيديهم إلا بعد أن يطول حوله الجدال ، وتلك أكبر مزية من مزايا رجال الأعمال ، فهم الصالحون صلاحية حقيقية لتصريف الأمور بعقل وتدبير وسداد ، والكرم رذيلة شنيعة حين يصدر عن رجال الأعمال ، لأنه يشهد بأنهم حُرموا مزية الضبط والتدقيق . فإن سمعتم أن كاتباً يتقاضى أجراً على مقالاته فى إحدى الجرائد فاعرفوا أن ذلك لم يقع إلا فى سبيل الحرص على منفعة تلك الجريدة ، فهو ليس إعانة تقدَّم إلى الكاتب وإنما هو ربح حلال يناله الكاتب تعويضاً على ما بذل من إجهاد الفكر فى التحرير والإنشاء . وإن سمعتم أن فى مصر جريدة لا تنشر إلا ما يقدَّم إليها بالمجان فاعرفوا أن تلك الجريدة صائرة إلى البوار ثم الزوال ، لأن القراء لا ينتظرون الكتاب المجهولين ، وإنما ينتظرون الكتاب المعروفين ، والكاتب لا يُعرف فى وطنه إلا بعد أن يشيب فوْداه فى مساورة الأبكار من الحقائق والمعانى

وما أريد بهذه الكلمة أن أقول إنى جدير بالانتفاع بما أنشر فى الجرائد والمجلات ، فهذا القول قد يُعدّ من الزهو فى موطن لا أريد فيه غير توجيه النصح إلى من يسألوننى من وقت إلى وقت عن إمكان الاستفادة المادية من الصحف المصرية وفى توجيه النصح إلى هؤلاء أقول :

لا تصدقوا أن فى مصر جريدة تدفع قرشاً واحداً لكاتب على سبيل المونة والتشجيع ، ولا تصدقوا أن الصحفيين اليوم يجوز عليهم التلطف ، كما كان يجوز على أسلافهم الكرماء من أمثال على يوسف وعبد العزيز شاويش وأمين الرافعى ، فتلك أيامٌ خلَت ، وأصبحت الصحافة قوة أدبية واقتصادية لا ينتفع بخيرها إلا أقطاب البيان ، ومن أجل هذا صحّ القول بأن الصحافة المصرية تحتل المكان الثالث فى العالم بعد الصحافة الإنجليزية والصحافة الأمريكية ، وستظل كذلك ما دام فيها رجال يعرفون أنه لا عيب فى أن تقوّم الأفكار بالأموال ، إن جاز الوهم بأن الأفكار توزن بموازين الأموال

الظلم البغيض

للظلم أشكال وألوان ، فهناك ظلمٌ حلوٌ عذب هو ظلم من يُستملَح منهم الدلال ، وهناك ظلم تافه هو ظلم من لا يُقدّمون ولا يؤخرون ، وهناك ظلم بغيض هو ظلم من تحسن إليهم فيسيئون إليك . فالذين يعيبون علينا أن نتقاضى أجراً على ما ننشر فى الجرائد والمجلات فيهم أناس يظنون فينا القدرة على كل شىء ، فهم يدعوننا فى كل وقت إلى تزكيتهم عند أصحاب الجرائد والمجلات ، ليجولوا ويصولوا ، كما يجول ويصول من من وُهبوا القدرة على التصرف بالخواطر والقلوب

ولو علم هؤلاء أن حرفة الأدب النائم قد تحكم على صاحبها بأن يموت قبل الأوان بعشرين عاماً أو ثلاثين لزهدوا فى الظفر المكسوب بثقة القراء ، وهل يثق القراء بكاتب إلا بعد أن يطمئنوا إلى أنه يسوّد القرطاس بالدم لا بالمداد ؟ ثقة القارئ عروس غالية يقدّم إليها الكاتب خاتماً قد اتخذ حديده من الدم الذى سفحه على سنان القلم فى الليالى الطوال

آه ، ثم آه ! !

من يصدّق أن الكاتب الموثوق بكفايته البيانية لا يَنقل

عواطفه إلى قرائه إلا بعد أن تنفعل خواطره انفعالاً يحوّلها إلى نسيم تنتعش به أرواح الوجود؟

من يصدّق أن الكاتب الذي يؤثِّر في عصره وزمانه لا يجود بكلمة من كلامه إلا وهو يجود بأكواب حِرار من دم الكبد والقلب

ومع هذا يقال إنه أجير لأصحاب الجرائد والمجلات!!

ولو قدّرت مصر الكاتب حق قدره لعرفتْ أنه عنوانها الصحيح في الشرق والغرب؛ فبفضل الكاتب قيل إن مصر زعيمة الأمم العربية، وبفضل الكاتب قيل إن صحافة مصر تزاحم الصحافة الإنجليزية والصحافة الأمريكية. وهل من القليل أن نكون في الصحافة أعظم من أمم كثيرة تفوقنا في الأنفس والأموال؟

عتاب موجه الى الزيات

إذا صح هذا — وهو صحيح — فكيف يجوز للأستاذ الزيات أن ينشر في مجلته تعريضاً بأجر يتقاضاه كاتبٌ صاحبَ «الرسالة» بصدق وإخلاص أكثر من أربع سنين؟

ومن الزيات الصديق؟

هو الرجل الذي يؤذيني بين قرائي وأصدقائي، فما ينشر لهم كلمة أقدمها إليه إلا بعد اختبار دقيق

أريد أن أعرف كيف يجوز للزيات أن يسمح بنشر كلمة فيها تعريض بمن ينتفعون بجهاد الأقلام، وهم أعظم من الذين ينتفعون بجهاد السيوف؟

وكيف يكون من العيب أن ننتفع بجهودنا الأدبية وهي جهود نخدم بها المجتمع كما يخدمه المشتغلون بالمحاماة والتدريس؟

وإذا جاز أن يُنشَر في الرسالة تعريض بمن ينتفعون بثمرات أقلامهم، ففي أي مكان ينتظر أرباب الأقلام كلمة الحق في الثناء على ما يقدّمون من تضحيات، وهم أقل المجاهدين حظاً من الثواب على الجهاد؟

ومتى نجد رَوْح الوفاء إذا عزّ وجوده عند من قضوا أعمارهم في الأنس بمعاني الأدب الرفيع؟

وما هو الأجر الذي يقدَّم إلى الكتّاب في مصر حتى تصوَّب إليهم سهام التجريح؟

ما زلنا نشكو الغبن الذي يلاحق الصحافة الأدبية في هذه البلاد، فليس أمام الكاتب الأدبي فرصة واحدة من الفرص التي يتمتع بها الكاتب السياسي، لأن مصر التي برعت في خلق العصبيات السياسية، لم تفكر في خلق العصبيات الأدبية، والكاتب السياسي قد يستطيع التمتع بأجازة يتذوق فيها طعم الراحة شهراً أو شهرين مع حفظ حقه في المرتب؛ أما الكاتب الأدبي، فهو مقهور على معاقرة الكدح الموصول، إلا أن يغنيه الله عن ذلك الأجر الممنون

من المزعج أن تُنسى حقوق الكاتب الأدبي، وهو يعاون معاونة جدية على ترقية الصحافة الأدبية، وهي صحافة لم تكن ولن تكون إلا لوناً من ترف العقول، وهي الشاهد على أن الأمة لها في عالم الفكر مطامح وآمال، ولكن أين المنصفون؟

ونحن قد زهدنا في خدمة الصحافة السياسية، وهي الصحافة التي يخطب ودها أقطاب السياسة ورجال الأعمال، والتي تمكّن أصحابها من نواصي المناصب العالية، فهل كنا من الموفّقين في إيثار ذلك الزهد؟ هيهات... فما كان زهدنا في الصحافة السياسية إلا ضرباً من الخذلان!

قد نعزّي أنفسنا فنقول: إن الجهاد في الميدان الأدبي أبقى على الزمان، وتلك والله علالة المهزومين؛ وإلا فكيف يُحسد الكاتب الأدبي على الانتفاع بجهوده الأدبية، وهي لن تصل به إلى منازل المجد إلا يوم يتولى أمور الناس رجلٌ في حصافة ابن العميد، أو عقل سعد زغلول؟

وما هي تلك المنافع التي نميَّز بها في مجلتك، يا صديق الزيات؟

وما الذي استفدت أنت من خدمة الأدب، وبيدك مجلة أدبية تضرّ بها وتنفع؟

كل ما غنمتَه هو السلامة من مزالق الشبهات، وذلك مغنمٌ عظيمٌ جداً، ولكنه قليل الوزن في العصور الممسوخة، عصور الزهد في معالي الأمور. ولو اعتدل الميزان — كما رجونا ألف مرة — لكان للصحافة الأدبية مكان مرموق في هذه البلاد، ولكنه لن يعتدل إلا بعد أحيان طوال، ويومئذ ينسى الناس أن مصر عاش فيها أقوام حفروا أساس الصحافة الأدبية بأسنة الأقلام، وهم محرومون من عطف الصديق المواسي، والناصر الرفيق

ومهما تكن العواقب، فذلك حظي وحظك، وحظ إخوان كرام رضوا بالشقاء في خدمة الصحافة الأدبية ليرضوا شهوة العقل،

وللعقول شهوات أقوى وأعنف من شهوات العيون والقلوب

وهل أقبلنا على الصحافة الأدبية طائعين ؟

لا ، والله ، فما أقبلنا على هذا المورد إلا مسوقين بسوّاق حُطَم ، هو القلم المفتون باقتراع المعانى

وجملة القول أن ما يعاب عليّ يعاب عليك ، فتى تكثُر هذه العيوب ؟ ومتى يكثُر القادرون على الانتفاع بثمرات الأقلام ؟

العيب الحق هو أن تشهد الوقائع بأن الذين ينتفعون من الصحافة الأدبية لا يزيدون عن آحاد ، لأن أدباء مصر لم يستطيعوا إلى اليوم أن يصيّروا الأدب غاية وجودية ، يحيا بها الناس كما يحيون بالطعام والشراب

فهل يستطيع من عابوا عليّ الانتفاعَ بقلمى أن ينتفعوا بأقلامهم ؟

وهل فيهم من جُعِل رزقه فى سنان قلمه ، كما جُعل رزق فى سنان قلمى ؟

ليت الله يُكثر من المنتفعين بأقلامهم ، لنؤمن ونصدّق بأن القلم صارت له دولة فى هذه البلاد !

ليت ، ثم ليت ! !

الدين الاسلامى فى المدارس الأجنبية

قرأت فى الجرائد خلاصة ما انتهى إليه البحث بين وزارة المعارف ونظار المدارس الأجنبية فيما يتصل بتعليم الدين الاسلامى للتلاميذ المسلمين بتلك المدارس ، وقد فهمت مما قرأت أن البحث وصل إلى غايتين :

الأولى أنه لا يجوز أن يعلَّم تلميذ ديناً غير دينه ولو رضى أهله بذلك

الثانية أنه يجب تعليم الدين الاسلامى للتلاميذ المسلمين بالمدارس الأجنبية

وقد حدثنى بعض من شهدوا تلك المحادثات أن نظار المدارس الأجنبية لم يعترضوا على النص الذى يوجب ألا يتعلم التلميذ ديناً غير دينه ، لأنهم لا يريدون فتح باب الفُرقة والخلاف بين أبناء هذه البلاد ، ولأنهم يعرفون أنهم مؤتمنون على ضمائر من يدخل مدارسهم من أبناء المسلمين

أما النص الذى يوجب أن يتعلم التلاميذ المسلمون مبادئ الدين الإسلامى فقد وافق عليه نظار المدارس الأجنبية بعد جدال بسيط ، وكانت حجة المجادلين أن بعض المدارس قد تتعدد فيها الديانات والمذاهب ، فمن الإرهاق لجدول الدروس أن تخصَّص فيه ساعات لتدريس ديانات التلاميذ على ما بينها من تباعد واختلاف ، وهنا وجدت وزارة المعارف الحل فرضيت بأن تكون دروس الدين الإسلامى فى أيام الآحاد

ذلك ما حدثنى به الصديق الذى شهد تلك المباحثات فما الذى أملك فى التعقيب على هذا الموضوع الدقيق ؟

أواجه الموضوع بصراحة تنفعنا وتنفع ضيوفنا الأجانب

فأقول : تنقسم المدارس الأجنبية إلى قسمين : مدارس مدنية ومدارس دينية

أما المدارس المدنية فهى على أتم استعداد لتدريس الدين الإسلامى فى دورها ، لأن نظامها يقوم على احترام جميع الديانات وإن كانت غير مُلزَمة بتدريس الديانات ، وما دام الرأى العامّ فى مصر يرى أن الدين الإسلامى مادة أساسية فى تثقيف التلاميذ المسلمين فهى لا تمانع فى أن يكون فى دورها مكان لتعليم أولئك التلاميذ مبادئ ذلك الدين

بقيت المدارس الدينية ، وهى مدارس لا يُطلَب منها غير الحياد ، فكيف نفرض عليها أن تعلم الدين الإسلامى فى دورها ؟

إنما يجب أن نسهل عليها هـذه المهمة فنتولى تعليم مَن بها من التلاميذ المسلمين فى دور المدارس المصرية وفى أيام الآحاد

ذلك ما رأته وزارة المعـارف ، وهو رأى أرادت به مجاملة المدارس الدينية ، حتى لا يقال إن وزارة المعارف تجرح إحساس الأجانب من رجال الدين

كل هذا جميل ، وجميل جداً ، وجداً جميل ، كما يعبر الدكتور طه حسين

ولكنه إن وقع فسيشهد بأننا جميعاً نعيش فى عصور الظلمات ؛ فنظار المدارس الأجنبية لا ينكرون أن الإسلام دين يتقرب به إلى الله مئات الملايين . فكيف تضيق به مدرسة يديرها أوربيون أو أمريكيون ، وقد نشأوا فى بلاد لا ترى من العيب أن تدرس الأوهام والأضاليل حتى تشعر بالحرج فى السماح بتدريس الدين الإسلامى » وهو إن لم يكن وحياً من السماء كما يزعم من خاصموه فهو بلا جدال أقوى صورة من صور الضمير الإنسانى ، وأعظم شاهد على سيطرة الفكر والعقل والوجدان »

لو جاز لى أن أتهم وزارة المعارف لقلت إنها تريد اختبار بعض رجال الدين من الأجانب ، فهى تريد أن تجرب مبلغ استعدادهم لتقبُّل التعاون السليم من شوائب الأغراض ، فما الذى سيصنع أولئك الرجال فى الرد على وزارة المعارف !

أنا أرجّح أنهم سيفكرون فى منافع تلاميذهم من المسلمين فينظمون لهم دروس الدين الإسلامى بطريقة تعفيهم من التردد على المدارس المصرية وفى أيام الآحاد

فما هى تلك الطريقة ؟

فى المدارس الأجنبية نظام مدرسى يسمى نظام الـ Cours وهو النظام الذى يسمح بأن يقسم التلاميذ إلى فرق مختلفة فى وقت واحد . فمن السهل أن يُتَّبع هذا النظام فى تدريس الديانات فى المدارس التى تختلف فيها الديانات ، وعندئذ يذهب الخطر المتوقع من إرهاق جدول الدروس

دفع اعتراض

قد يقال إن فى تدريس الدين الإسلامى بالمدارس الأجنبية فتحاً لأبواب الشقاق بين التلاميذ المختلفين فى الدين

وأجيب بأن إغفال الدين الإسلامى هو الذى يخلق ذلك الشقاق ، لأنه يفرض على التلاميذ المسلمين أن يتصوروا أنهم مضطهدون ، ويوحى إليهم فكرة الوهم بأنهم يتعلمون فى مدارس تضمر لدينهم معانى العداء المكشوف أو الملفوف

فما مصلحة تلك المدارس فى إغفال الدين الإسلامى ؟

وما الموجب لأن يتعبونا بتجديد خصومات نحب أن تموت ؟

الواقع أن بعض نظار المدارس الأجنبية لم يجدوا من يدلهم على اتجاهات الأفكار والعقول فى هذه البلاد . ولو وجدوا من يرشدهم لأعفونا وأعفوا أنفسهم من الدخول فى محرجات تؤذينا وتؤذيهم أعنف الإيذاء

للمدارس الأجنبية ماض جميل فى نشر اللغات الحية بالديار المصرية ، وذلك الماضى الجميل يحتاج إلى حارس أمين من الحاضر الجميل ...

فمن يبلغ بعض نظار المدارس الأجنبية أن الصديق الحق هو الذى يرشدهم بصدق وإخلاص إلى جلية الأمر فى مواطن قد اشتبكت فيها الأوهام والظنون ؟

إن صدقت النيات فى تحقيق ما تم عليه الاتفاق بين وزارة المعارف ونظار المدارس الأجنبية فسيكون لتلك المدارس مستقبل أروع وأجمل من ماضيها الرائع الجميل

ثم دفع اعتراض

قيل وقيل إن وزارة المعارف قد انتهزت فرصة الاضطرابات الدولية لتصفّى ما بينها وبين المدارس الأجنبية ، وذلك القيل كذبٌ وافتراء ، فوزارة المعارف تفكر فى هذه الشؤون منذ أعوام طوال ، وهى بالفعل قد قررت التفتيش على جميع المدارس الأجنبية منذ سنة ١٩٣٨ يوم كان الحديث عن وقوع حرب عالمية رجماً بالغيب ، فمن التجنى على وزارة المعارف أن يقال إنها تنتهز فرصة الاضطرابات الدولية لتحقق أغراضاً سليمة لا يطعن فى سلامتها إلا أهل الأغراض والأهواء

أما بعد فقد علمت أن قانون التعليم الحرّ سيعدَّل بعد تلك المباحثات تعديلاً يضمن السلامة من أخطار الخلاف بين المصريين والأجانب ، ويؤكد الثقة والصفاء بين أولئك وهؤلاء

للحق والتاريخ

حدثنى صديق شهد تلك المباحثات أن أعضاء اللجان الفرعية من الأجانب عزّ عليهم أن تنتهى فى أسابيع ، فقد راعهم أن يعرفوا أن فى وزارة المعارف رجالاً موسومين بالرفق واللطف فى معالجة الدقائق من المعضلات ، وكانوا يتوهمون أنهم لن يلقوا إلا رجالاً يغنيهم الاعتصام بالحق عن مراعاة الرفق واللطف

وكذلك حدثنى ذلك الصديق أنه لم يكن ينتظر أن تتم تلك المباحثات فى أسابيع ، فقد كانت الاراجيف شاعت أن تصور بعض رجال التعليم من الأجانب بصورة من يعادون العروبة والإسلام فى هذه البلاد . ثم شاء الله أن تشهد الظروف بأنهم أبرياء من مُزَوَّهات تلك الأراجيف

ذلك ما حدثنى به الصديق الذى شهد تلك المباحثات ، وهو لم يخبرنى بجديد ، فقد اتصلت بنظار المدارس الأجنبية عدداً من السنين فلم أجد منهم غير الأدب واللطف والذوق ، ولم أشهد عليهم غير الاهتمام بمراعاة العواطف المصرية ، كتب الله لنا ولهم التوفيق فى خدمة العلوم والآداب والفنون .

زكى مبارك

٤ ـ فى العقـــد

لأستاذ جليـــل

٢٥ — (ص ١٤٥) كان بعض أهل التمرس (يعنى التمرس بالحروب) يقول لأصحابه : شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فإن الجبان لا يألو برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يعدو ما يشد لنصرتكم ، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معدة الجبان وتهور الشجعان ، فتكون أنفذ من السهم الزالج والحسام الوالج

وجاء فى تعليقة (ما يشد نصرتكم) : كذا فى ا . والذى فى بقية الأصول : « بصائركم » وهو تحريف

قلت : النصرة تصحيف البصيرة أو تحريف البصائر ، والشد يناسب البصيرة أو البصائر ، فالبصيرة الحجة والاستبصار فى الشىء ، والبصيرة ما اعتقد فى القلب من الدين وتحقيق الأمر . وليس أصل القول — كما أرى — (يشد نصرتكم أو يشد بصائركم) وإنما هو (يُشيد ذكركم أو يشيد بذكركم) كما جاء فى هـذه الوصية فى زهر الآداب وثمر الألباب[١]) وفى (غرر الخصائص الواضحة[٢]) و (الغرر) يروى عن (الزهر)

أصل الجملة كما ذكرنا ثم نسى ناسخ نقط الياء فصارت (يشد ذكركم) فاستركت واستبدلت بالذكر البصيرة أو البصائر أو النصرة حتى يجى معنى مقبول

وقد يكون أصل (السهم الزالج والحسام الوالج) ما سطر فى الزهر والغرر : (السهم الصائب والحسام القاضب) والسهم الصائب أقمد فى هذا المقام من السهم الزالج

فى التاج : زلج السهم يزلج زلوجاً وزليجاً وقع على وجه الأرض ولم يقصد الرمية . وفى المخصص ، وفى المثل : (لا خير فى سهم زلج) وإذا وقع السهم بالأرض ولم يقصد الرمية قلت : أزلجت السهم

وقد يصوب (السهم الزالج) فى قول القائل بعض التصويب

(١) الجزء ٣ ص ٢٥٥ الطبعة (الزكية المباركية) سنة ١٩٢٥
(٢) ص ٢١٨

ما ورد فى اللسان : قال أبو الهيثم : الزالج من السهام إذا رماه الرامى فقصر عن الهدف ، وأصاب صخرة إصابة صلبة ، فاستقل من إصابة الصخرة إياه ، فقوى وارتفع إلى القرطاس[١] فهو لا يعد مقرطساً

٢٦ — (ص ١٤٥) ... وانفسدت نياتهم

قلت : من يجد هذا الفعل فى مثل هذا الكتاب دون تنبيه عليه يثق بصحته وما هو بالصحيح

فى الصحاح : لا يقال انفسد . ومثل ذلك فى اللسان . وفى القاموس : لم يسمع عنهم انفسد . قال شارحه : فى مطاوع فسد وإلا فالقياس لا يأباه

قلت : لم يحرك الفعل (فسد) فى التاج ، فإن قصد الثلاثى غير المضاعف فهى هفوة عالم

فى ضياء اليازجى : رجل مفسود السيرة وقد انفسد ، وكلاهما خطأ ، لأن فسد لازم فلا يصاغ للمجهول ولا يبنى منه مطاوع

٢٧ — (ص ١٦٩) ... فدخلت فى غِمار الناس ...

قلت : فى غُمار الناس أو غَمار الناس بالضم أو الفتح كما قُيد ذلك بصريح الكلام لا بتوشيح القِلام[٢] — كما يقول المجد — فى تهذيب الألفاظ ، والصحاح ، واللسان ، والمصباح ، وحرك بالضم والفتح فى الجمهرة والمخصص وغيرهما

والأصمعى يقول : دخل فى خمار الناس . وغمار الناس خطأ ليس من كلام العرب . وقد نسب صاحب المخصص[٣] هذه التخطئة إلى ابن السكيت ، وهذا وهم من ابن سيدة . وإنما ابن السكيت ناقل وقد قال بعد كلام الأصمعى : الكسائى : دخلت فى غُمار الناس وغَمار الناس وخُمار الناس وخَمار الناس[٤] .

وأثبت الجوهرى فى الصحاح هذا القول إثبات الموافق عليه

والغِمار — بالكسر — جمع الغمر وجمع الغمرة ليس بحجة لمن كسر الغمار فى (دخلت فى غمار الناس أو خمارهم) فى كلام القدماء . . .

٢٨ — (ص ٣٥)

(١) الهدف
(٢) جمع قلم : أى وضع الحركة على الحرف
(٣) الجزء ٣ ص ١٢٧
(٤) ص ٣٦

جانيك من يجنى عليك وقد
تعدى الصحاحَ مبارك الجرب(1)

ولرب مأخوذ بذنب عشيرة   ونجا المقارف صاحب الذنب

قلت : عشيره . وقد روى الشريشى فى الشرح الكبير هذين البيتين و (قرينه) فيهما مكان (عشيره)

٢٩ — (ص ٧١) ... قال (الوليد بن عبد الملك للزهرى) : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت ، قال : باطل يا أمير المؤمنين ... قال : إن الناس ليُغوونا عن ديننا

وجاء فى الشرح : فى الأصول : « ليغروننا » بالراء ، وهو تحريف

قلت : أغواه : أضله ، أو دعاه إلى شىء غوى به أى ضل ؛ وغره يغره : خدعه وأطمعه بالباطل ؛ والقوم قصدوا خدع الخليفة وإطماعه بالباطل ؛ والغر أو الغرور مثل الإغواء ، وربما فضل الأول الثانى فى هذا المقام

٣٠ — (ص ٢٣٤) ... وإذا جرد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحتاً والخير محضاً لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه، ولا بشر يَحيشهم إلى خيره ، فقد ملّكهم الخلع لعذرهم

وجاء فى الشرح : كذا فى ا ؛ ويحيشهم أى يجعلهم يفزعون يقال : حاشه يحيشه إذا أفزعه ؛ والذى فى سائر الأصول : « يحبسهم »

قلت : الحيش : الفزع ، والفزع هنا الخوف والذعر ، لا الفزعَ إلى الشىء ، أى اللجوء إليه ؛ وفى حديث عمر أنه قال لأخيه زيد حين ندب لقتال أهل الردة فتثاقل : ما هذا الحيش والقل(2) ؟ أى ما هذا الفزع والرعدة ؟ فاللفظة فى « العقد » هى يحوشهم أو يحيشهم أى يسوقهم ؛ فى حديث عمر أن رجلين أصابا صيداً قتله أحدهما وأحاشه الآخر عليه ؛ يقال : حشت عليه الصيد وأحشته إذا نفّرته نحوه ، وسقته إليه ، وجمعته عليه كما فى النهاية ؛ وفى الصحاح : حشت الإبل : جمعتها وسقتها ، وحشت الصيد أحوشه إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة

٣١ — (ص ١٧٨) قال كعب بن زهير :

بخلاً علينا وجبناً من عدوكم   لبئست الخلتان البخل والجبن

قلت : ... وجبنا عن عدوكم . وقد نسبه أبو تمام إلى قعنب(1) بن ضمرة . وفى المبهج : قعنب بن أم صاحب وهى أمه ، وهو أحد بنى عبد الله بن غطفان ؛ وكان فى أيام الوليد ابن عبد الملك ، والبيت ثالث ثلاثة فى (الحماسة) شقيقاه(2) هما :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا   منى وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به   وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

وقد تمثل أبو جعفر المنصور بذلك البيت فى مقامين فى خطبتين ذكرهما الطبرى فى تاريخه فى (الخبر عن بعض سيرة المنصور) والبيت فيهما كما روى ديوان الحماسة

احتلت هذه الضئيلة البئيلة(3) (من) ذلك المكان فى البيت — غير متحلحلة عنه — الدهر الأطول فى طبعات (العقد) وقد لحتها فى ثلاث منها ، ثم لم تنثب (لم تستح(4)) الملعونة من ظهورها فى طبعة اللجنة المبجلة . واليقين أنها من ميراث الناسخين ، لكن لكل كتاب أجل ولكل كاتب ولكل كتابة ولكل شىء ، فلن تكون (من) فى البيت فى العقد — إن شاء الله — بعد اليوم ...

٣٢ — (ص ٣٣٤) ورؤى حاتم يوماً يضرب ولده لما رآه يضرب كلبة كانت تدل عليه أضيافه وهو يقول :

أقول لابنى وقد سُطْتُ يديه   بكلبة لا يزال يجلدها

أوصيك خيراً بها فإن لها   عندى يداً لا أزال أحمدها

تدل ضيفى على فى غلس الليل إذا النار نام موقدها

(١) جانبك من يجنى عليك : من أمثالهم . قال الميدانى : أراد صاحب جنايتك من يجنى عليك فلا تأخذ بالعقوبة غيره ، وذكر له معنى آخر . وفى حديث : لا يجنى جان إلا على نفسه . وفى (الكتاب) ولا تزر وازرة وزر أخرى . هذا قضاء الاسلامية .

(٢) القل بالكسر شبه الرعدة يقال : أخذه قل من الغضب (الصحاح)

(١) فى المبهج : القعنب الشديد الصلب من كل شىء

(٢) وله هذان الاخوان فى أدب الكتاب والاقتضاب وهما :

ولن يراجع قلبى ودهم أبدا
زكنت منهم على مثل الذى زكنوا

كل يداجى على البغضاء صاحبه
ولن أعالنهم إلا كما علنوا

على (فى البيت الأول) مقحمة كما فى الصحاح

(٣) ضئيل بئيل : دقيق صغير أو بئيل اتباع

(٤) استحى واستحيا وقرىء بهما

الغنـــاء والموسيقى
وحالهما فى مصر والغرب
للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٢ —

نسمع اليوم ضجّة فى مصر بين أنصار القديم وأنصار الحديث ؛ فما هو ذلك الذى توهّموه القديم وثبتوا عليه ؟ وما هو ذلك الذى أحدثوه واعتزّوا به !

لمجلس الموسيقى والغناء الجدى عندهم نظام لا يُمس ولا يتغيّر : مقدمة موسيقية ، تقطّعها تقاسيم بكل معزف لا بد منها فى نظرهم وإن تشابهت وتكررت منذ دهور ؛ ثم ليال ناداها المغنون حتى سوأها فرط التكرار ، فموال عامى ، فدور أو طقطوقة ، أو قصيدة مسيخة فى ترتيب ما يختارون من أبياتها ، معذبة على ألسنتهم اللحانة ، وما أشنع لحانة المغنى منتحل الفن والفن الجميل برىء من تشويه الجمال وإن تعمّد تصوير الدمامة أحياناً ! وجملة ذلك « وصلة » تجمع بين العامى والفصيح حين تضم الموال إلى القصيدة وتجمع بين المتنافرات والأضداد . أما التواشيح العربية القديمة التى ألحموا فيها «أمان» و « يالا للى » لموازنة ألحانها الحاضرة ، فهى فى حكم المهمل ، إذ قلما يغنون بعضها أو جزءاً منها ، وقلّما يغنيها أجود الأصوات . وأما الغناء فى السيما وفى التمثيل ، أو فيما يسمونه أوبرا ، فهو أغان مفردة ، مبعثرة يصدق فى أكثرها ما يقال فى غيرها

والأغانى ، على الإجمال ، موضوعها ثابت ثبات الرواسى ، يصور رزيئة عاشق ذليل يومه ناحس ، ومهانة داله عليل ناكس ، وأنين خائر ، وحنين طريد شريد حائر ، سائل حزين بَكِىّ ، مستغيث ولا مغيث ؛ فهو موضوع يصف نحيتة مخلوق مجرد من كل حمية ، شاذ عن سجية الرجل السليم ، كأن العشق مرض مهلك لا تكون فيه هنيهة هناء ، أو لحظة بشاشة ، أو فينة صفاء ؛ وكأن العشق الكئيب لا يُغنّى سواه ، وكأن الإنسان لا يطرب إلا من العويل والنحيب مذ عمى هذا الفن الأنكد عما يفعم فؤاده من شتى العواطف والأحاسيس البشرية ، وهو موضوع مستهجن مملول زاد سماجته الإمعان فى تكراره

وعبارة هذه الأغانى عامية على الأغلب، ونحن نزعم أننا نحارب الأمية والعامية ؛ فكأن المصريين قاطبة عوام ، وكأن الفصحى

قلت : أقول لابنى وقد سطَت يدُهُ[1] ...

٣٣ — (ص ١٧٠) وقال بعض المراقبين فيه (أى فى أكول جبان) :

ضعيف القلب رعديدُ　　عظيم الخلق والمنظرْ !
رأى فى النوم عصفوراً　　فوارى نفسه أشهر !

قلت : رعديدْ ، إذ لا تصريع[2] فى البيت ، ولا احتياج إلى كف[3] ، واللفظة مصروفة وهذا ظاهر

٣٤ — (ص ١٢٣) كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول :

أى يومىَّ من الموت أفرّ　　يوم لا يُقدر أو يوم قدرْ
يوم لا يقدر لا أرهبـــه　　ومن المقدور لا ينجى الحذر

(١) سطا عليه وبه . السطو البطش برفع اليد (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) قال ثعلب : يبسطون إليهم أيديهم (التاج)

(٢) صرع البيت من الشعر جعل عروضه كضربه ، وأكثر ما يقع التصريع فى أول الشعر وربما صرع الشاعر فى غير الابتداء

(٣) الكف يدخل مفاعيلن من الهزج حشوا وعروضاً

قلت : أفرْ بالسكون بلا شدة حتى لا يختل الوزن

ذكرتنى (صفين) فى خبر (العقد) بيتين كانا يقالان فى لياليها وهما هذان :

الليل داج والكباش تنتطح　　نطاح أسد ما أراها تصطلح !
فمن يقاتل فى وغاها ما نجـا　　ومن نجا برأسه فقد ربح[1] !

وإن الدنيا لتتمثل فى هـذا الوقت بهذا القول . والمأمول ـ وقد استجيبت الدعوة فى الرسالة (٢٥٩) ص (٩٣٢) فعادت جذعة ـ أن يكون نفع الناس منها جسيما عظيما مثلها فيحى فياح[2] ... !

* * *

(١) (ما نجا) حذفت الفاء من الجزاء ضرورة عند الأكثرين والقسطلانى فى شرح البخارى يقول : حذف الفاء من الجزاء سائغ شائع ومن خص هذا الحذف بضرورة الشعر فقد حاد عن التحقيق ، وضيق حيث لا تضييق

(٢) من أمثالهم . قال الميدانى : هـذا مثل قطام مبنى على الكسر أى أتسعى وأنث الفعل على أن الخطاب للغارة . وفى الأساس : ومن قول مغاويرهم : فيحى فياح أى اتسعى ياغارة وانتشري . قال :

شددنا شدة لا عيب فيهـــا　　وقلنا بالضحى : فيحى فيـاح

ليست في شيء مما يصلح للغناء ولم تغن بها مدنيات قبلنا ، وكأن الأمم الحية لا تغني الآن في لغاتها إلا بعبارات الأوباش من أبنائها . والأغنية محدودة في قليل من الجمل ، ولولا تكرار المغني لكلماتها — وأي تكرار — لما استغرق غناءه دقائق معدودات

تبدأ الموسيقى بمقدمة هي جزء من بشرف ، أو بشرف في الأندر ، أو تقليد أين هو من البشارف ؟ وهي حين تعزف واحداً منها تقطعه بما تقحم فيه من تقاسيم بالمعازف تنبو لهجتها الطافحة شجواً عن لهجة البشرف الناطقة عن أحاسيس الرجولية ، ولو اتفقتا في النغمة ، فتكدر صفاء لحنه وتعرقل تسلسله وتسربه في الآذان ، وتضعف قوة أخذه في الأنفس الواعية وشده أسره فلا تجد منه كل الطرب وهو عند تتابع روائعه واتصالها مطرب جد مطرب

وهذه المقدمة الموسيقية تباين ما يليها من غناء وإن كان لحنها ولحنه من نغمة واحدة ، كنغمة الصبا أو البياتي ، إذ أننا لم نفطن بعد للدلالة الصوتية ولم نركن معنى الإنشاء الموسيقي ، أو لم نسمع عنه شيئاً

ثم إن الموسيقى تصاحب الغناء أو تتخلله ، أي تعزف وتسكت ، وتارة تخالف بلحنها مع بعض جمل الأغنية أو بعض كلماتها ، وطوراً يأتلف لحنها مع الغناء والأغنية ، ويختلف أطواراً بمباينة دلالاته الصوتية المتضاربة لدلالاتهما : إذ يذهب اللحن الموسيقي بمدلولاته من البكاء إلى المرح مثلاً ، أو من الضعضعة إلى الثورة أو الرقص بينا يقيم المغني بغنائه مناحة حامية ، يشنف بها آذان المستمعين

ذلك بأن ملحن الموسيقى ليس يعرف أن اللحن إنشاء يتوخى فيه صاحبه أن يجعله معبراً للمستمع عن ذات ما يصل إلى سمعه مع الموسيقى من معاني الأغنية والغناء بها ؛ ولا يدرك أنه لا ينجح في صنيعه إلا بإحكام الدلالات ، وإتقان المطابقة بينها ، وتحسين الأسلوب بمحسنات صوتية توائم سياق اللحن الأساسي . وإنما همّ الملحن أن يتلقط عبارات صوتية يظنها مؤتلفة لمجرد نظمه إياها في نغمة الأغنية ، وقد تكون الواحدة من هـذه العبارات مطربة في ذاتها ، لو سمعت على حدة ، وإن باينت أخواتها في لحنه وهو لا يدري ؛ لأنه لا يقصد سوى التجميد في اللحن والتوشيع بما يأخذ أو يسرق من هنا وهناك ، ولا يلاحظ إلا ضبط الأقيسة وإحكام الوقف أو « المحط » لتمكين المغني من استئناف الغناء ولإظهار أنه لم يخرج عن النغمة

الأقيسة والمحطات ! ذلك وحـده ما يعنى به الملحنون والعازفون وما فيه يتبارون! ولذلك يبرزون القياس أي « الوحدة » بالدف أو الطبلة في عزفهم الألحان ؛ وليس هـذا موضع فخر لمنتحل الفن ، إذ هو شيء أولي ، دون مستوى الفن الرفيع ؛ بل إن في إظهار القياس والوحدة إظهاراً لتكرار يُمل النفس اطراده وملازمته للحن والغناء ، إلا أن يقع في مواطنه من الموسيقى المحركة(١) كالتي تصاحب الرقص . والفن الحق يتفادى هـذا العيب بإخفاء مساند البناء الموسيقي من قياس وغيره ، كما يخفي المهندس دعائم البناء الجميل ، وبعض نواتئه وزواياه ، بحيله الفنية وبالطلاء والزخرفة

وما أكثر الجاهلين من ملحني الأغاني أن اللحن إنشاء صوتي يوجب عليهم المطابقة التامة بين مدلولاته والمدلولات الكلامية . وليس ينفي هذه الحقيقة ائتلاف الحزن الذليل الفائض من الأغاني والحزن الأذل المتدفق من ألحانها : لأنه ائتلاف لم يأت عن دقة في حساسية المؤلف ويقظة في مشاعره وملكاته ولا عن فطنة فنية ، بل هو الشاهد باستقرار عادة التذلل والبكاء واستحالتهما شنشنة بالأدمان . يثبت ذلك أن مدلولات لحن الأغنية الحزينة تأتلف مع مدلولات كلامها ، لكن كثيراً ما تختلف معها في مصاحبتها لألفاظ العاشق المتضعضع الباكي ، بمعان صوتية مرقصة مرة ، أو ساخرة ومتغنجة أخرى ، أو متميعة ؛ ولو كانت نفس الملحن حساسة لما جاءت بأمثال هذا الاختلاف في لحنه . ولو كان مدركاً معنى الإنشاء الصوتي والغناء ، لأصلح أخطاء لحنه بالتهذيب بعد تأليفه ؛ أو لو كان فناناً حقاً لما تعمد مثل هذا السخف لإرضاء أحد

أما المغني ، فقد أصبح مثله الأعلى هو التفوق في حكاية الذل والحزن ، الحزن والذل وحدهما ! كل الحزن والذل ! وفي وصف بنات الصدر ، حتى تشبع قلبه من الكآبة تشبعاً ينفضها على صوته ، شاء أو لم يشأ ، وحتى قد يكون جيد الصوت ، لكن

(١) Musique locomotrice

غناءه على رغم هذه الجودة بكاء حقيقي وعويل، لا صوت مغن. والفرق عظيم بين الحقيقة والفن الذي يمثلها، فإن صار تمثيله حقيقة، فلا يكون فنًّا

وأكثر المغنين إنما صنعتهم مسخٌ لألحان مسيخة، مسخ يزيدها بشاعة بعيوب ليست من الفن ولا الغناء في شيء كما يتوهمون. وهؤلاء عيوب غنائهم عديدة وبيان بعضها فيما يلي:

فمنها أن المغني قد يغني للجماهير بصوت أدركته أعراض الشيخوخة، ويغني ولو كان من ذوي الخنخنة أو كان مزكوماً، ولا يفكر في سلامة صوته، ولا يعنى بنقاء حنجرته وصحة صدره، وهو يزعم أنه مطرب.

ومنها أن يُقدم على رفع صوته إلى أعلى الطبقات وهو غير قادر، فيظهر ما يعاني من مشقة. وليس هذا الجهد الجاهد بغناء الصوت الكرواني المخلخل الذي يحلق بسهولة عظيمة، ورفاعته أنه غناء لا عناء.

ومنها أنه يقطع الأغنية كلمة كلمة، ويكرر الواحدة عشرين مرة زاعماً أن كل مرة تأتي بلون من الإيقاع غير ألوان الأخريات؛ وهـذه وتيرة مملة وإن صدق في زعمه، لأن معنى الكلمة لا يتغير جوهره في هذا التلوين الصوتي الذي يؤكده؛ وهو زعم لا يصدق في كل المرات، وإن صدق أحياناً في بعضها. على أن التكرار مرة أو مرتين، بشرط ظهور ضرورته، معقول مقبول مواضعه؛ وحسب المستمعين والمغني، بعد ذلك، أن يعرض ألوان صوته في سياق اللحن ويترك ما يسم.

ومنها أنه يطيل الوقف بعد الكلمة بلا داع ولا معنى، وقد يطول الوقف بين كلمتين، أو كلمة وجملة، أو جملتين، لما يُقحم بينهما من عبارات موسيقية معانيها لا تلائم معاني الغناء: كأنْ تدل تلك على غضب ففرح، فثورة فدعابة، بينا تدل هذه على شجن صاعق كالمادة، فتنفصم سلسلة الغناء وتختلط الدلالات الصوتية المتضاربة، ويذهب التقطيع والاختلاط بلذة اللحن والصوت الفنّي إن كانت فيهما لذة

ومنها أنه قد يقف على نصف كلمة، أو ثلث أو حرف منها، ولو كان همزة؛ وقد يستأنف من هذه الهمزة ويجأر بها مراراً فيحدث بذلك نوائيَ ومنكسرات صوتية، مع أن المنحنيات أنق وألطف وأحبّ إلى الأذن وتلك النوانيُ مؤلمة

ومنها أنه قد يترك السكوت بإطلاق صوته بغتة كالمدفع لقصور ذوقه عن حفظ التناسب، وقد يتنبه لهذه الفُجاءة ويحاول تخفيفها متعجّلاً في النقص من صوته فيزيد وضوحاً.

ومنها أنه يمد كل حرف من كلمة مداً يطول حتى لا يستطيع المستمع أن يجمع حروفها، فيضيع معناها؛ وأنه قد يمسخ اللفظة بتأنُّق على ذوقه السقيم، كأنْ ينطق بكلمة الحرية مثلاً: لو حووريييـه، فلا يفهم أحد هذه الأناقة الشنيعة

ومنها أنه يتأوّه ويتوجّع كأنه بين يدي سفاح يعذبه أو جراح يجرّحه قبل اكتشاف وسائل التخدير الطبّي، وتارة يتميّع ويتغنّج إثارة للشبق بين بكائه في غنائه بكاء الثكلى

كل أولئك عيوب تشوه حتى أحسن الأصوات وهي غريبة عن الصوت الغنائي، وكثيراً ما يجتمع منها وحدها ما يُمضّ المستمع البصير، ويوهم أن مجلس الغناء مأتم مجانين، ويكفي لإخراج هذا الغناء عن الفن

تلك العيوب البيّنة في غنائنا وموسيقانا قد يلاحظها العامة وأشباه العامة، لكن لا على أنها عيوب بل على أنها محاسن من صميم الفن، ومن شواهد النبوغ والعبقرية؛ ويتبعهم في الإعجاب بها كل إمّعة، خصوصاً في الحفلات حيث تسود روح الجمهرة، ثم يتأثر من إعجابها السواد الأكبر الذي لا يجرؤ على مخالفة رأيه الأكثرون من الأفراد، وهذا هو السرّ في كل صيت كاذب مفسد للأذواق.

محمد توحيد السلحدار

من الأدب الرمزى

الزمن الساحر ... !

للأســتاذ سيد قطب

ب الزمن !

- أعجبك ! ما أقدرك !

نى أراك اللحظة - أو يخيّل إلىّ أنى أراك ، أو تخيّل إلىّ
يخيل إلىّ أنى أراك ! - هنالك قابعاً مُنزوياً وراء منسجك
سى ، تطل بعينيك العميقتين النافذتين من خلف المنسج
منذ الأزل ، تنسل خيوط الكون وتنسجها ، فى دأب
لا يني ولا يفتر ، ونظام لا يتقدم ولا يتأخر

إنك هنــاك فى كل ذرة سابحة فى الفضاء ، أو غائصة
فى الأعماق ؛ وفى كل خطرة نابضة فى الفكر أو كامنة فى الضمير ؛
فى كل ومضة مشعة فى الأفق أو مستكنة فى الذرات ...

وأنت هناك فى البرعم النامى ، والجرح المندمل ؛ وفى الأمنية
السانحة والذكرى المتوارية ؛ وفى الأمس والغد ؛ وفى الليــل
والنهار ؛ وفى الغدو والأسحار ؛ وفى الأرض والسماء ؛ وفى كل
مكان ... ولــكن أحداً — أيهــا الساحر القادر — لا يحس
أنك هناك !

إنك لتلأم الجرح فى اللحظة التى تثغره ؛ وأنت هناك فى أعماقه تنسج الأنسجة وتنشىء الذرات ، وترتفع بغوره شيئاً فشيئاً ، وإذا الطعنة الغائرة قشرة عالقة ، ربما خيل إلى الرائى أن وراءها ثغرة ؛ وإذا القشرة نفسها تسقط بعد لحظات ، وكأن لم يكن جرح ولا ثغرة ولا قشرة !

وكذلك تصنع بالجروح الغائرة فى حنايا القلب وشعاب الضمير ... !

وإنك لــكامن هناك وراء البرعم المستكن فى البذرة الســاكنة تدفعه فى رفق ، وتمده فى هدوء ؛ ثم تنبثق به إلى الضياء نبتة ناحلة كابتسامة الوليد ؛ ثم إذا هو فنن صغير ، ففرع كبير ، فدوحة باسقة ، ذات أوراق وأزهار وثمار ... ثم ما ذا — أيها الساحر القادر — ثم إذا هى خشبة خشنة اللحاء يابسة اللباب ؛ ثم إذا هى وقود للنار ؛ ثم إذا هى شعاع ذاهب ، وهباب راسب. وأنت هناك من خلفها دائب فى الإبلاء والإنشاء ! ...

وكذلك تصنع بالأمل البازغ ، والحب الوليد ... !

إنك لا تضيع لحظة واحدة ! ويحى ! وما اللحظات لديك ؟ ليخيل إلىّ أنك تسخر منا ونحن نقسم الوقت لحظات ! وكيف نعرف حدودها فنقول : من هنا تنتهى اللحظة الغابرة وتبدأ اللحظة الحاضرة ! والوقت خيط طويل يلفه لولب الزمن فيمر بنا أو نمر به بلا توقف ولا فواصل ولا حدود ؟ ... ما اللحظات والثوانى والدقائق والساعات ؟ ما أولها وما آخرها ؟ ... ما من أول لها ولا آخر إلا فى أوهامنا نحن أبناء الفناء !

إنك هناك وراء منسجك الأبدى تبلى وتجدد فى آن ، بعيداً عن الحس والوعى ، بعيداً عن التأمل والملاحظة ، بعيداً عن الشك والريبة ، وربما خيل لبعض السذج أن يرقبوك فى عملك الدائب ، فإذا أنت تبدو لهم ساكناً صامتاً كلما أمعنوا فى الوعى والرقابة ، بينما أنت تعمل عملك ، تنسل وتنسج فى كل شىء ، حتى فى وعيهم ورقابتهم وهم لا يشعرون !

أيها الساحر القادر ... إنك لتحتفظ دائماً بسر اللحظة الحاضرة ، فلا تدع عيناً ترقبها ، ولا حساً يدركها ، ولا فكراً يؤولها ، ولا نفساً تلهمها ... إنها لك وحدك . تنسل خيوطها وتنسج سواها ، ويدك التى تنسل الخيط القديم هى التى تنسج الخيط الجديد ، موصولاً هذا بذاك ، فلا مبدأ ولا نهاية ولا فاصل بين الخيطين تدركه العين أو الضمير ... فإذا خرجت من منسجك أبحتها لحظة عابرة للأبصار والأفكار ، ريثما تنسل وتنسج نفس هذه الأبصار والأفكار

وقد يحاول بعض السذج أن يقفوا دورتك ، استبقاء للحظة يحبونها أو تفادياً من لحظة يرهبونها ؛ وقد يتشبثون بالأوهام ، ويثبتون أقدامهم بالوقت والمكان ؛ وإذا أنت فى غفلة عنهم تمر بهم ، وتنقل أقدامهم وأوهامهم ؛ وأنت تنسل وتنسج خيوط الأقدام والأوهام !

وكم مرة خيل إليهم أن هناك مفاجأة وطفرة . وما كان من ذلك شيء ، إنما كنت أنت هناك ، وراء المنسج ، في صومعتك الأزلية ، تبلي وتجدد ، وتفني وتخلق ، وتنسل وتنسج ؛ وهم عنك في غفلة . ثم استيقظوا أو خيل إليهم أنهم استيقظوا ! فهالهم ما أبليت وما جددت ؛ وصاحوا مشدوهين كالأطفال ، وقذفوا في وجهك بعلامات التعجب والاستفهام بينما أنت دائب على منسجك تبلي وتجدد ، حتى في ذلك التعجب وهذا الاستفهام !

***

أيها الزمن !

ما أرحمك ! ما أقساك !

إنك لتلأم الجرح وتفتح البرعم ؛ ولكنك تبلي الكيان وتذوي الحياة . وإنك لتمسح على الألم وتزوي الوجه الرعيب ، ولكنك تطوي اللذة وتحجب الوجه الحبيب

إنك لتمنحنا الجديد وتهبنا الطريف ؛ ولكنك تسلبنا القديم وتحرمنا التليد ؛ لا بل أنت تسرق منا هيا كلنا ونفوسنا ، وتخطف ذراتنا وخواطرنا ، وأيًا كان ما تعوضنا فإن تعويضك محدود بالعمر صائر إلى نفاد ، وفقداننا إلى غير رجعة ولا يستعاد

من ذا الذي يستطيع أن يقول في لحظة ما : أنا ... أنا ... أنا الذي كنت منذ لحظة ... إن كل شيء قد تغير منذ اللحظة الفائتة ، فليس هو من كان هناك ... إنك في هذه اللحظة الخاطفة نسلت منه خيوطاً ، ونسجت فيه خيوطاً !

أين الشموس الغاربة وراء الآباد ؟ أين الليالي السارية في مجاهل الأبد ؟ أين النجوم مندمجة من السديم ؟ أين مولد الأرض بجانب منابع الزمن ؟ أين أول فجر وأين أول حي على هذه الكرة السابحة في الفضاء ؟ أين إنسان الغاب في الكهوف والآجام ؟ أين الزلازل والأعاصير ؟ أين النسائم والنفحات ؟ أين الوسوسة والخرير ؟ أين الزفرة والصدحات ؟ أين البسمات التي رفت على الشفاه ؟ أين التبسات التي غضنت الجباه ؟ أين الهواجس والأفكار ؟ أين الرغائب والأوطار ؟ أين الحب والبغض ؟ أين الهيام والسلوان ؟ ؟ ...

أين ... أين ... ؟ بل أين كلمة « أين » هذه التي لفظتها منذ لحظة ؟ بل أين المقطع الأخير من « أين » الأخيرة ؟ ...

لقد نسلت خيوطها ونسجت سواها ... وهأنت ذا دائب على المنسج الأبدي الجبار !

هأنذا أعيد تلاوة هذه السطور التي خطتها يدي ؛ ولكنها ليست هي كما خطتها ، ولست أنا كما كنت لحظة تسطيرها ... إنك نسلت ونسجت في خيوط يدي ونفسي ، وفي حركاتي وخواطري ؛ وفي خيوط الصحيفة التي حوتها ، وفي خيوط المداد الذي أثبتها ... وهأنت ذا لا تزال تنسل وتنسج في هؤلاء جميعاً ولن يكون شيء منها كما كان مرة أخرى !

***

أيها الزمن !

ما أعجبك ! ما أقدرك ! ما أرحمك ! ما أقساك ! ...

« حلوان » سيد قطب

على هامش الحرب

الديمقراطية البريطانية
وأثرها في الحرب الحاضرة

تسربت الديمقراطية – كنظام سياسي – إلى العالم ، من الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تضمن هذا النظام الاعتراف بما نسميه الآن « حقوق الإنسان » وهي حقه في أن يعيش حراً ويتكلم حراً ، ويعمل حراً ، دون أن يتعرض للتعذيب أو السجن . وكان « أبراهام لنكولن » أول من أعلى الولايات المتحدة حكومة تقوم على المبادئ الأساسية لهذا النظام وقد أثر عنه أنه عرف الديمقراطية بقوله : « هي حكم الشعب ، للشعب ، بواسطة الشعب » أو بعبارة أخرى : « هي حكومة ممثلين للشعب من الشعب ينتخبهم الشعب انتخاباً حراً »

أما في انجلترا فقد كانت أولى الحركات الديمقراطية الكبيرة تلك التي قام بها « الشارتستس »[1] وقد استمدت فلسفتها من أمريكا ، ولكنها منيت بالفشل لأسباب عديدة ، وما لبث أن أعقبتها – بعد فترة من الزمن – حركة أخرى رمت إلى تحقيق « التمثيل العام » ، وكان أول وأهم الداعين إليها « برايت » صديق « جوبدن » ومن بعده جاء « جلادستون » الذي تسنى له أن يدرس – خلال برلمان ١٨٤١ – ٤٦ – كثيراً من مبادئ « جوبدن »

استمدت هذه الحركة وحيها من أقوال الفلاسفة الراديكاليين الذين يرجع إليهم – أكثر من غيرهم – تحديد « النظرية الديمقراطية » وتوضيحها . إلا أن نظام الحكومة في انجلترا كان قد تضمن – من قبل – بعض المبادئ الديمقراطية . ومن أشهر الوثائق التي أصارت تلك المبادئ قانوناً : الوثيقة الشهيرة المعروفة باسم « ماجنا كارتا » ، وثيقة الحرية الكبرى لدى الإنكليز : إستخلص البارونات هذه الوثيقة من الملك « جون » ، وختمت

(١) الشارتستس جماعة من المصلحين كانوا ينادون دائماً بضرورة العمل على سيادة ما جاء في مطالبهم

في « رنيميد » في اليوم الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٢١٥ ؛ ومن المبادئ التي تضمنتها :

١ – لا يبقى أحد في السجن دون محاكمة

٢ – العدالة يجب ألا تباع ، أو تؤخر ، أو يرفض تحقيقها

٣ – لا يدفع أحد غرامة ، ولا يسجن ، ولا ينفى إلا بعد محاكمة عادلة ، وبموافقة محكمة اللوردات

٤ – أكتسبت الحرية لمدينة « لندن » وعدة مدن أخرى

ثم تأيدت هذه الوثيقة بضع مرات ، بواسطة الحكومات التي تولت حكم انجلترا . وفي سنة ١٢١٥ كان السبب الأكبر الذي دعا إلى عقدها ، هو الحيلولة بين الملك وبين أن يصبح دكتاتوراً ، وبمنصب الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها البارونات ، أي أنها كانت في الأكثر لفائدة « الأرستقراطية » ولكن الحقوق التي تضمنتها هذه الوثيقة ما لبثت أن أخذت على التدريج تشمل أفراد الشعب ، ثم ما لبثت حكومة البلاد بعد ذلك أن أصبحت في متناول يد كل فرد . وفي النظام الحاضر ما يؤيد ذلك . فمجلس اللوردات يمثل « الأرستقراطية » ومجلس العموم يمثل « الشعب » ؛ والمجلس الأخير هو الأشد قوة ، والأشمل سلطاناً ، ومن حقه على الدوام أن يتأكد من أن مصالح « الشعب » لم تطغ عليها مصالح « الأرستقراطية »

والفرق المهم بين الديمقراطية في انجلترا ، وبينها في غيرها من البلاد ، هو أن الديمقراطية في انجلترا تقوم – أكثر ما تقوم – على التاريخ والتقاليد . وحسبنا أن نعلم أن المجالس النيابية التي هي أهم مظاهر الديمقراطية الحديثة قامت في انجلترا منذ القرن الثالث عشر !

وثمة فارق آخر بين « الديمقراطية الإنجليزية » وبين زميلتها الأمريكية ، هو أن العاطفة الديمقراطية كانت حتى أوائل القرن الحاضر ، زراعية في أمريكا ، بينما كانت وما تزال في انجلترا ، مدنية صناعية ؛ ولا يخفى أن الحال تغيرت في أمريكا في هذا الزمن ، فقد أصبحت العاطفة المدنية الصناعية لا تقل ، وربما كانت أزيد ، من العاطفة الزراعية

ومن الفوارق الأخرى أن الحركة الديمقراطية كانت في أمريكا وفي القارة الأوربية قرينة للحركة الوطنية وللحركات

العسكرية ، بينما كانت الحال عكس ذلك في انجلترا . أنظر إلى الثورة الفرنسية وإلى حرب الاستقلال الأمريكية ، تجد أنهما قرنتا الديمقراطية بالقوة العسكرية للدولة ، بينما كانت القوة العسكرية في بريطانيا قرينة (نقص في الحرية) ورد الفعل الناجم عن ذلك النقص . واستخدمت انجلترا قواتها العسكرية في تنظيم الأمم الخاضعة لها أكثر مما استخدمتها في الدفاع عن نفسها ، ومن أجل هذا السبب كانت الديمقراطية الإنجليزية أقل حكومات العالم ميلاً إلى الحرب

وقد أصبح « عدم الميل إلى الحرب » هـذا فيما بعد خاصية من أهم خواص الأمة البريطانية . ومع أن المعروف هو أن الشعب الذي كان لا يحب شيئاً ما ، فإنه عادة لا يتقنه ، فإن هذه القاعدة تشذ ، عند ما يكون ذلك الشعب هو الشعب البريطاني ، ويكون ذلك الشيء هو الحرب . عرف ذلك نابليون سنة ١٨١٥ وقد بدأ (هتلر) يعرفه الآن

عند ما يكون « ذلك الشيء » هو « الحرب » ، تبدأ انجلترا بطيئة ؛ ولـكن متى بدأت ، كان من الصعب إيقاف تلك الآلة الحربية البريطانية الهائلة ، بل قل إنهـا لا تقف حتى ينتهي عملها النهاية الناجحة المرجوة منه . والبدء البطيء والتقدم المتئد يرجعان إلى (الديمقراطية البريطانية)

في بعض الممالك يستطيع الديكتاتور أن يشن حرباً متى أراد ذلك ، ولـكن — في انجلترا — لا يستطيع أحد أن يقرر شيئاً ذا أهمية قومية — بل الحرب — دون موافقة الشعب وتأييده الاختياري له . والإنـكليز يكرهون الحرب لأنهم يعلمون أنها مضيعة ومناقضة للصالح العام . وهم يعلمون ذلك لأن حكومتهم تبيح لهم أن يطالعوا الحقائق في جرائدهم ، وتشجعهم على أن يفكروا ، ويتحدثوا ، ويعملوا ، بحرية ، ومن أجل أنفسهم وهي هذه المعرفة التي تجعلهم يبطئون في إبداء موافقتهم وتأييدهم لحرب يعلمون عنها أنهـا تقتضيهم التضحية وتحمل الآلام . وهي الحرية التي يتمتعون بها عند ما يفكرون لأنفسهم ، التي تقنعهم بوجاهة السبب الذي من أجله يحاربون ، وهذا كله هو الذي يصح من أجله القول بأنهم متى وافقوا على أن يحاربوا من أجل الحرية ، فإنهم يوالون الحرب بشجاعة وقوة ، حتى يفوزوا

إنها الديمقراطية التي علمت الإنكليز أن يكرهوا الحرب . وهي هي نفسها التي تعلمهم كيف يقاتلون ، وذلك لأنهم يعلمون السبب الذي من أجله يحاربون . أما في الدول الدكتاتورية ، فالناس لا يدرون : لم يقاتلون ؟ وهم هناك يغذون بالأكاذيب والتاريخ الزائف ، فلا يجدون مناصاً من الاعتقاد به . وليس ثمة في وقت السلم ما يؤدي إلى ثلم هذه العقائد ؛ أما في أوقات الحروب فإنهم يرون أن زعماءهم غذوهم بالأكاذيب والوعود الزائفة ؛ وهذا يؤدي بهم إلى فقدان الثقة بالحكومة التي أخطأت قيادتهم ، وينتهي بهم الأمر بأن يصيروا عاجزين عن معرفة ما يجب أن يعتقدوه ، وهذا يؤثر في روحهم المعنوية كمحاربين ، لأنهم متى فقدوا الثقة والعقيدة فقدوا معهما الشجاعة والقدرة على تحمل الآلام .

ألا إن من واجب بريطانيا أن تشكر (الديمقراطية) شكراً جزيلاً ، فهي التي أكسبتها حروبها السابقة ، وهي التي سوف تكسبها حربها الحاضرة ، التي هي أكبر من كل حرب مضت

م . ع

على هامش حادث أليم

للأستاذ عبد الله حسين

روّعت البلاد بالحادث الأليم الذى ذهب ضحيته القائمقام محمد شكيب بك ؛ إذ أن الناس لا يزالون حين يعرضون لتفصيلات الحادث ، تتجاذبهم النواحى المختلفة ، وتجيش فى صدورهم المعانى والعبر التى انطوت عليه . ولا شك أن كل قارئ قد نظر إلى الحادث النظرة التى تتفق وما شهده من أمثاله وما انتهى إليه من الدراسات والعلوم ، وقابل بينه وبين ما وصل إلى مسامعه من أشباهه

ولا مراء فى أن من الصور التى يعرض لها الخاطر معانى الانتقام والريبة والوسوسة وضعف السيطرة على الأعصاب ، والصلات القائمة بين الرجل والمرأة ، وبين القريب وقريبه ، وبين الصديق وصديقه ، وبين الرجل وعدوه ، والوسائل التى تعالج بها المشكلات الاجتماعية ، حتى يسع المجتمع القضاء على ما يخالف القانون والآداب ، وذلك بإزالة البواعث التى تؤدى إلى ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام

ومن واجب المصلحين أن يتناولوا بالتفكير والدراسة علل المجتمع ، وخاصة إذا ما نزلت كارثة ، أو راع الناس خطب عظيم

ولما كان المقام لا يتسع للافاضة فى كل ما انطوى عليه ذلك الحادث الذى ذهب ضحيته ضابط كبير وشاب فى مطلع الشباب ، بل ذهبت ضحيته فتاة كانت لها آمال فى حياة زوجية ، وفزع من أجله صديق برىء لا ناقة له فى الحادث ولا جمل ، اللهم إلا رفقة تبرع بها كرهاً ؛ فإننا نحاول فى هذه الكلمة أن نعالج معنى من هذه المعانى التى قدمنا الإشارة إليها . ذلك أننى عرفت منذ بضع سنوات أحد الموظفين الذين لم يوفقوا فى حياتهم الزوجية لأسباب تتعلق بما كان يملأ رأسه من بواعث الوسوسة والإسراف فى سوء الظن ، وإن بعض الظن إثم.

كان صاحبى هذا يستريب من كل شىء ، ويشك فى كل حركة ، لأنه مصاب بآفة سوء الظن فى خلق الله جميعاً وفى مقدمتهم المرأة . فكان يعود فجأة إلى داره لكى يقف على ما تفعله زوجه : أظلت قابعة فى الدار ، أم خرجت على غير انتظار ؟ وهل بقيت فى ثيابها المنزلية ، أم ارتدت ثوباً نظيفاً ؟ فإذا رآها فعلت ذلك ، أطلق لسانه فيها متسائلاً عن سر النظافة ودواعيها ، ذاكراً أن هذا لا بد قد دعا إليه رغبة فى نفسها لكى تلفت أنظار الرجال إليها

فإذا أجابته أنها داخل الدار حيث لن ترى من الرجال غيره ، مضى إلى النافذة المحكمة الإغلاق ونظر إلى الشارع ، حتى إذا لمح الشرطى يقف هنيهة أمام الدار ويلتفت صعدا قال الزوج لزوجته: ها هو الشرطى يقف أمام دارنا ويحدق نظره فى النافذة! إنه عشيقك ، ولا شك ، وهو ينتظرك ويريد منك أن تتحدثى إليه ... ها هو يبتسم . إنه يبتسم لك . يا فاجرة ...

فإذا حدث أن كانت تصحب هذه الزوجة زوجها إلى زيارة أقاربها ، أطلق فيها لسانه ، كلما مر رجل ينظر إليهما نظرة عارضة ، مشيراً إلى أن الناظر رجل يعرفها وتعرفه ، وأنه يومىء إليها الحاجة فى نفس الشيطان !

وهكذا كان أسلوب حياة الزوجين يجرى يومياً على هذا المثال ، حتى وقع ما ليس منه بد ، وهو الطلاق والفراق إلى حيث لا تلاق ، حتى آثرت الزوجة المطلقة أن تفر من مطلقها إلى واق الواق ...!

تلك صورة من صور بعض الأزواج ، وتلك حال زوجاتهم معهم ، ومن العسير أن يقف الناس على الحقيقة ، فإن الناس مطبوعون على إساءة الظن بالمرأة ظالمة كانت أو مظلومة

ومن أجل ذلك وجب على الذين يتتبعون عورات المجتمع ، ألا تفوتهم دراسة النواحى المختلفة ، وألا يتعجلوا بتصديق كل ما يروى ، فإن الحياة مليئة بالغرائب والدهشات والشذوذ . ومن الإساءة إلى الحق وإلى الإصلاح المنشود ، أن يستقر الرأى على عقيدة لم تمهد إليها دراسة صادقة ، ولم ينته إليها تفكير صحيح وإنما بعث عليها وهم قديم أو ظلم مقيم .

عبد الله حسين

مرثية محمد محمود باشا

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

دَفَنَتْ وَرَاءكَ فَجْرَهَا الأَيَّامُ   سِيَّانِ بَعْدَكَ صَحْوَةٌ وَظَلَامُ !
نَفَضَ الرَّدَى مَعْنَى الحَيَاةِ بِخَاطِرِي   حَزَنًا ، وَمَاتَتْ فِي دَمِي الأَنْغَامُ
لَا اللَّيْلُ مَسْحُورُ السُّكُونِ ، وَلَا الضُّحَى   كَجَبِينِ مَجْدِكَ آلِقٌ بَسَّامُ
أَنَا ذَلِكَ الطَّيْرُ الَّذِي خَلَّفْتَهُ   وَلَظَى الهَجِيرِ لِنَوْحِهِ إِلْهَامُ
تَرِدُ الأَسَى شَبَّابَتِي فَكَأَنَّهَا   حَطَبٌ يُجَاذِبُ صَفْحَتَيْهِ ضِرَامُ
وَكَأَنَّ عُمْرِي زَهْرَةٌ بَرِّيَّةٌ   لَا الطَّلُّ يُنْعِشُهَا وَلَا الأَنْسَامُ
وَكَأَنَّ رُوحِي فِي الدُّجَى صَبَّارَةٌ   بَيْنَ القُبُورِ حَدِيثُهَا إِعْجَامُ
سُقِيَتْ بِدَمْعِ الثَّاكِلِينَ فَأَطْرَقَتْ   ثَكْلَى تَفَزَّعُ صَمْتَهَا الأَحْلَامُ
مَاذَا دَهَى وَتَرِي وَكَانَ مُجَلْجِلًا   بِعُلَاكَ تَنْقُلُ شَدْوَهُ الأَجْرَامُ؟
شَلَّتْ عَلَيْهِ أَنَامِلِي وَتَمَلْمَلَتْ   كَبِدِي وَغَشَّتْ حَيْرَتِي الآلَامُ
فَوَجَمْتُ كَالْمَأْخُوذِ أَيُّ بَقِيَّةٍ   لِلْوَعْيِ تَنْشُدُهَا بِهِ الأَوْهَامُ !
أَرْثِيكَ، يَا لِخَطِيئَةِ الدُّنْيَا وَهَلْ   يَرْثِي المَعَانِي الشُّمَّ فِيكَ كَلَامُ

ضَجَّ الأَثِيرُ وَقَدْ رَمَى النَّاعِي بِهِ   خَبَرًا لَدَيْهِ انْشَقَّتِ الأَفْهَامُ
وَالنِّيلُ كَادَ جَوًى تَمِيدُ ضِفَافُهُ   وَتَصَوَّحُ الرَّبَوَاتُ وَالآجَامُ
وَالشَّرْقُ جَلَّلَهُ السَّوَادُ، فَقُدْسُهُ   دَامِي الحَشَا ، وَعِرَاقُهُ ، وَالشَّامُ
وَالأَرْزُ مُرْتَعِشُ الضَّفَائِرِ ذَاهِلٌ   بَثَّتْهُ نَارَ جِرَاحِهَا الأَهْرَامُ !
أَمُحَمَّدٌ كَذَبَ النُّعَاةُ فَلَمْ يَمُتْ   مَنْ رِيعَ يَوْمَ فِرَاقِهِ الإِسْلَامُ
وَمَنِ الْتَقَتْ مِصْرٌ وَرَاءَ رِكَابِهِ   شِيَعًا يُؤَلِّفُهَا أَسًى وَوِئَامُ
وَمَنِ اصْطَفَاهُ المَجْدُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ   إِلَّا لَهُ صَرْحُ النُّجُومِ مَقَامُ
وَمَنِ انْتَضَى الأَخْلَاقَ سَيْفًا شَرْعُهُ   أَنَّ الغُمُودَ عَلَى السُّيُوفِ حَرَامُ
وَمَنِ اسْتَعَارَ النُّورُ حُجَّتَهُ فَلَا   زَيْفٌ وَلَا رَهَبٌ وَلَا إِبْهَامُ
وَمَنِ اسْتَجَارَ القَيْدُ حِينَ أَذَاقَهُ   لَهَبًا يُؤَزُّ جَحِيمَهُ الإِقْدَامُ
وَمَنِ النَّزَاهَةُ كَالضُّحَى لَا رَأْيُهُ   يَزْوَرُّ عَنْ فَمِهَا وَلَا الأَحْكَامُ
وَمَنِ الحَدِيدُ يُفَلُّ دُونَ عِنَادِهِ   إِنْ رَامَ كَيْدَ بِلَادِهِ ظَلَّامُ
فَلَكٌ يَهَابُ الدَّهْرُ بَأْسَ مَدَارِهِ   دَارَتْ عَلَيْهِ بِضَعْفِهَا الأَسْقَامُ
وَطَوَاهُ مَنْ حَصَدَ السِّنِينَ بِمِنْجَلٍ   ضَافِي الجَلَالِ يُقَالُ عَنْهُ: حِمَامُ !
قَدَرٌ رَمَى قَدَرًا عَلَى رَاحَاتِهِ   يَبْيَضُّ مِنْ لَيْلِ الخُطُوبِ قَتَامُ
وَأَتَاهُ وَالأَيَّامُ حَوْلَ سَرِيرِهِ   أَيْدٍ يُرَقْرِقُ طُهْرَهَا الإِحْرَامُ
تَدْعُو السَّمَاءَ لَعَلَّ كَفَّ طَبِيبِهِ   رَغْمَ القَضَاءِ يَعُودُهَا الإِلْهَامُ !
وَاللَّيْلُ تَجْأَرُ بِالدُّعَاءِ نُجُومُهُ   وَيَئِنُّ تَحْتَ قِبَابِهِ الإِظْلَامُ
وَالعَائِدُونَ الجَازِعُونَ حَدِيثُهُمْ   كَدُمُوعِهِمْ بَاكِي الصَّدَى هَمْهَامُ
وَالقَصْرُ مَخْنُوقُ السَّكِينَةِ شَارِدٌ   سَجَّاهُ فِي لَهَبِ الذُّهُولِ مَنَامُ
هَتَكَ الرَّدَى أَسْتَارَهُ ، فَإِذَا بِهِ   قَلْبٌ يُمَزِّقُ صَفْحَتَيْهِ حُسَامُ
وَإِذَا « مُحَمَّدُ » أُمَّةٌ مَحْمُولَةٌ   فَوْقَ الرِّقَابِ تَلُفُّهَا الأَعْلَامُ
وَقَصِيدَةٌ دَهْرِيَّةٌ يَبْلَى البِلَى   وَنَشِيدُهَا تَجْثُو لَهُ الأَيَّامُ
مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَهَابُ جِوَارَهُ   أَمْسَى يُجَاوِرُهُ حَصًى وَرِجَامُ
يَا زَيْفَ هَاتِيكَ الحَيَاةِ ! وَيَا لَهَا   دُنْيَا حَقَائِقُ سِرِّهَا أَوْهَامُ !

لَمَحَتْهُ صَحْرَاءُ الإِمَامِ فَأَوْشَكَتْ   تَخْضَرُّ فِي يَدِهَا بِلًى وَرِمَامُ
وَتَنَفَّسَتْ نَفَسَ الرَّبِيعِ كَأَنَّمَا   فَضَّتْ فَوَاغِمَ عِطْرِهَا الأَكْمَامُ
وَكَأَنَّهَا ظَمْآى إِلَى نَبْعِ الهُدَى   وَالطُّهْرِ يُقْلِقُهَا صَدًى وَأُوَامُ
لَمَحَتْهُ فَازْدَجَرَتْ مَسَابِحُ رَمْلِهَا   لَحْنَ الجَلَالِ وَكَبَّرَ النُّوَّامُ !
وَتَوَاكَبَ الشُّهَدَاءُ أَيَّ مُوَدِّعٍ   هَذَا الَّذِي خَفُّوا إِلَيْهِ وَقَامُوا ؟
وَقَفُوا مَعَ التَّارِيخِ صَوْبَ رِكَابِهِ   يَحْدُوهُمُ التَّقْدِيسُ وَالإِعْظَامُ
وَالشَّمْسُ شَلَّاءُ الشُّعَاعِ بَكَى لَهَا   لَمَّا بَكَتْكَ إِلَى المَغِيبِ غَمَامُ
غَرْبِيَّةٌ وَدَّتْ لَوِ انْشَقَّ الدُّجَى   وَأَضَاءَ لَيْلَكَ طَرْفُهَا السَّجَّامُ
لِمَ لَا وَمَجْدُكَ سَارَ فِي أَبْرَاجِهَا   وَعُلَاكَ مِنْهَا يُرْتَجَى وَيُرَامُ !

يَا مُرْسِلَ النَّظَرِ البَعِيدِ بِخَاطِرٍ   فِي غَيْبِهِ تَتَعَثَّرُ الأَحْلَامُ

مجد بغداد

للأستاذ محمود رمزى نظيم

فى سنة ١٩٣٦ زار مصر وفد عراقى كان بين رجاله شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافى وألقى قصيدة حيا بها مصر ، ودعا الأستاذ محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ يومئذ ورئيس الرابطة العربية الوفد العراقى إلى داره بحدائق القبة ، ونظم صاحب الامضاء هذه القصيدة يحيي بها العراقيين وشاعرهم ، ولم تسمح الظروف بالقائها ولا بنشرها . وقد رأى تسجيلها اليوم فى الرسالة لتخلد بخلود هذه الصحائف

أهلا بسادة بغداد وشاعرها … من شادبالشمر ركناًفى مفاخرها
تهز أعطافها تيهاً قصائده … لما يصور فيها من خواطرها
فى نهضة بعثت بغداد ثانية … دار السلام لباديها وحاضرها
وآمنت برسول المجد أمتها … والمجدمازال يجرى فى مشاعرها
الهاشمى دعاها يوم صافحها … بدعوة هى نور فى بصائرها
هيهات تذهب بغداد وما صنعت … والله خلد غراً من مآثرها
تلك الرصافة قد عادت مباهجها … والحسن فى الجسر مجد فى سرائرها
ونهر دجلة فياض كعادته … فى المجد يربط ماضيها بحاضرها
فكم ليالٍ تغنت فى شواطئه … أصغى الزمان إلى تطريب زامرها
وكم حديث كأزهار الربيع بها … يفيض فى الحى من إلهام سامرها
وكم مجالس علم حوله عقدت … تجلو القرائح فيها عن جواهرها
واهاً لأيام إخوان الصفاء بها … وللرسائل تترى فى محابرها
قد خلد المجدَ والتاريخ شاعرها … والعلم والنور من تخليد ناثرها
بالدين والعلم قد سادت أوائلها … وهكذا الحال يجرى فى أواخرها
واليوم عادت لبغداد مظاهرها … بالجيش أو طائرات فى حظائرها
قامت لتحمى من الدنيا كرامتها … كرامةُ الناس أمست فى عساكرها
يامن نزلتم ضفاف النيل تشبهها … حول الفرات ضفاف من نظائرها
أرض تآخت بفرس فى منابتها … كما تآخت شعوب فى حواضرها
وفد العراق بلاد النيل ترقبه … كأنما هو نور فى نواظرها
إن القلوب التى سُرّت بمقدمه … تترجم اليوم من أعلى منابرها
بنى العروبة حييتم برابطة … تهدى تحيتها فى دار كابرها
دار إذا حلت الأضياف ساحتها … قامت تهلل ترحيباً بزائرها
أهدى التحية تقديراً لشاعركم … إن العروبة فى زهو بشاعرها
بالأمس قد عطرت مصراً تحيته … واليوم يسمع منا مثل عاطرها

(الجيزة) أبو الوفاء

محمود رمزى نظيم

قالوا السِّياسَةُ قُلْتُ كانَ بهَوْلِها … الفَارِسُ المُتَجبِّرُ المِقْدَام !
قالوا الأَمَانَة قلتُ تِلْكَ صَحِيفَةٌ … سَيَظَلُّ يَقْرَأُهُ بها الأَقْوام !
قالوا الصَّراحَةُ قلتُ رِيحٌ عاصِفٌ … بِيَدَيْهِ لا رَيْثٌ ولا إِحْجام !
قالوا النَّزَاهَةُ قلتُ تِلْكَ شَهادَةٌ … سِيَّانِ فِيها الصَّحْبُ والأَخْصَام
قالوا النَّبالَةُ قلتُ أَرْوَعُ آيةٍ … فِيهِ يُسَاجِلُ نُبْلَها الحُكَّام !
قالوا البيانُ فَقلْتُ عِفَّةُ مَنْطِقٍ … لَمْ تَقتَرِبْ من طُهْرِهَا الآثام !
قالوا النَّدَى فأَجَبْتُ واهِبُ عُمْرِهِ … لِلنِّيلِ تَعْرِفُ جُودَهُ الأَيَّام !
قالوا جُهودُ الشرق قلت شَأَتْ بها … لِلخافِقَيْنِ عَلَى يَدَيْهِ ذِمَامُ
فى الدِّينِ فى الأَخلاق فى الحُرَمُ التى … نَادَى بها لِلعَالَمَ الإِسْلامُ
قالوا.. فقال المَوْتُ أَصْبَحَ سِيرَةً … سَتَظَلُّ تَرْوِى سِحْرَهَا الأَهْرَام
وَأَظَلُّ أَقْبِسُ مِنْ ظِلالِ خُلُودِهَا … مَجْدًا تُرَقْرِقُ خَمْرَهُ الأَنْغامُ
وَتَذُوبُ رُوحِى كُلَّمَا نَادَتْ بِهِ … مَن ذَلِكَ السَّارِى عَلَيْهِ سَلامُ !

محمود حسنى اسماعيل



الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى (*)

تأليف الدكتور زكى محمد حسن

للدكتور محمد مصطفى

لهذا النقد قصة أطرف بها قراء الرسالة قبل أن أمضى فيه . وذلك أن المؤلف قد طلب منى أن أكتب عن هذا الكتاب تقريظاً بالانجليزية فى مجلة الآثار القبطية . فلما قرأته رأيت فيه مآخذ لا يسمح لى الضمير العلمى أن أسكت عنها ، ورأيت من اللباقة أن أطلعه عليها ، فتظاهر باغتباطه لتمحيص الحق ، ولكنه لم يكد يعلم أن النقد أوشك أن ينشر فى المجلة حتى نسى أخلاق العلماء ، فحاول أن يمنع المجلة عن نشره ، وسعى إلى بالصداقة مرة وبالعداوة أخرى أن أكف عن نشر النقد أو أعدل فيه ، فنزلت بعد لأى على حكم بعض الأصدقاء وحذفت من النص الانجليزى بعض الفقرات ولكنى رأيت واجب الأمانة العلمية يقضى بإيثار الحقيقة على الصداقة فعزمت على نشره كاملا فى الرسالة

بدأ المؤلف كتابه ببيان عن الأسرات التى حكمت إيران، ثم أعقبه بالكتابة عن مقام إيران فى تاريخ الفنون ، وتلا ذلك بتقسيم الطرُز الإيرانية فى الفن الإسلامى إلى الطراز العباسى ، والطراز السلجوقى، والطراز الإيرانى المغولى أو التترى، والطراز الصفوى ، متناولاً العمارة والخط والتذهيب والتصوير والتجليد والسجاد والخزف والمنسوجات والتحف المدنية والزجاج والخشب فى كل من الطرز السالفة الذكر ؛ وخرج من ذلك إلى الكلام عن العناصر الزخرفية الإيرانية فى العصر الإسلامى ، وتأثير الفن الإيرانى الإسلامى على الفنون الأخرى ، واختتم ذلك بذكر بعض ميزات الفن الإيرانى . وألحق بكتابه باباً ذكر فيه المراجع ، وتلاه بكشاف عام ، وفهرس للوحات ، ثم أورد اللوحات وخريطة لإيران

وقد كانت إيران كما يقول المؤلف فى كلامه عن مقام إيران فى تاريخ الفنون (ص ١١) : « ملتقى الفنون القديمة فى الشرق الأدنى ، ونمت فيها أساليب فنية ، تأثرت بفنون بابل وآشور ومصر والهند وبلاد اليونان ، وانتشرت فى العصور القديمة والعصور الوسطى ، وأثرت فى فنون الأمم الأخرى »

وكان لفتح الإسكندر الأكبر لإيران ، ولإسراء الإغريق الذين آلت إليهم إمبراطورية الإسكندر، أثر كبير فى نشر الثقافة الإغريقية فى الشرق الأدنى . ثم استولت دولة بنى ساسان على مقاليد الحكم فى إيران منذ سنة ٢٢٤ ميلادية ، وقضى ملوكها السنين الطويلة فى حروب ومناوشات مع الدولة البيزنطية فى الغرب إلى أن جاء الفتح الإسلامى ووضع حداً لذلك

ويقول المؤلف (ص ١٢) : « ولم تكن تلك الحروب الطويلة فى العصر الساسانى تمنع الشعب من العناية بالفنون الجميلة بل كانت من أهم عوامل الاتصال بين الشعبين العظيمين فى ذلك الحين : الإيرانيون (كذا) والإغريق ، فزاد التبادل الفنى رغم أنف الفريقين، وتسرب إلى فنون بيزنطة كثير من الموضوعات الزخرفية الإيرانية ، ولم تلبث هذه الموضوعات أن اندمجت فى الفنون البيزنطية اندماجاً تاماً . ثم نقلتها أقاليم البحر الأبيض المتوسط التى كانت تابعة لبيزنطة فى ذلك الحين . ويبدو ذلك واضحاً فى زخارف كثير من المنسوجات التى عثر عليها المنقبون عن الآثار فى مصر العليا ، كما يظهر أيضاً فى كثير من الزخارف التى استخدمت فى العصر القبطى ، ولا سيما الرسوم المحفورة فى الحجر والخشب »

ولكن المؤلف لم يذكر فى هذا الفصل شيئاً عن مدى هذا « التبادل الفنى » بين دولة بنى ساسان من جهة وبيزنطة ومصر من جهة أخرى ، ولا عن نوع هذه « الأساليب الفنية » و « الموضوعات الزخرفية الإيرانية » ، بل لم يذكر شيئاً عن ذلك فى أبواب كتابه الأخرى إلا ما كتبه فى بابى المنسوجات والتحف المدنية عن بعض أنواع الزخارف وأشكال التحف الفنية. وقد كنا نود أن نعرف مبلغ هذا التبادل فى الأساليب الفنية ومقدار تأثيرها فى الفن الإسلامى ، إذ أن الإسلام أخذ الشيء الكثير من هذه الأساليب مجتمعة أو متفرقة عن حضارات البلاد التى كانت قائمة قبيل الفتوح الإسلامية ، ألا وهى إيران وبيزنطة ومصر ، وكون لنفسه منها فناً ذا شخصية خاصة به

(*) نشر هذا النقد باللغة الانجليزية فى المجلد السادس من مجلة الآثار القبطية الصادر فى هذا الشهر

أما عن تقسيم الطرز الإيرانية فى الفن الإسلامى إلى أربعة طرز مبتدئاً بالطراز العباسى فالسلجوقى فالإيرانى المغولى أو التترى ثم الطراز الصفوى ، فإن المؤلف لم يذكر لنا الأسباب التى جملته يفضل هذا التقسيم . وإنى لا أتفق تماماً مع المؤلف فيما يختص بالطراز العباسى ، إذ أن هذه التسمية لا تطابق التقاليد الفنية التى ورثتها إيران عن الساسانيين ، لأن حالة سائر الفنون الإيرانية فيما قبل العصر السلجوقى ظلت — كما قال المؤلف فى ص ٢١٤ — « مدة طويلة لا تعرف من التجديد ما يخرجها تماماً من دائرة الأساليب الفنية الساسانية » . ففى العمارة (ص ٤٤) « تطورت الأساليب الساسانية تطوراً بطيئاً » ، وفى التصوير (ص ٨٤) أولى مدارس التصوير هى مدرسة العراق أو المدرسة السلجوقية ، وفى السجاد (ص ١٤٨) : « أن أقدم السجاجيد الإيرانية المعروفة ترجع إلى العصر السلجوقى » ، وفى الخزف (ص ١٦١) « كانت صناعة الخزف من أهم الميادين التى حاز فيها الإيرانيون المكانة الأولى بين الأمم الإسلامية » ، وإذا استثنينا الخزف ذا البريق المعدنى الذى اختلف مؤرخو الفن فى موطن صناعته — إيران أو مصر أو العراق — فإن أنواع الخزف الأخرى حافظت كلها على الأساليب الفنية الإيرانية ، وفى المنسوجات (ص ٢١٤) : « إن صناعة النسيج فى إيران ظلت فى القرون الأولى بعد الإسلام متأثرة بالطراز الساسانى » ، وفى التحف المدنية (ص ٢٣٨) « أن ما صنع منها فى العصر الإسلامى ظل محتفظاً بالأساليب الفنية الساسانية إلى حد كبير »

ومن العبارات السابقة المنقولة من كتاب المؤلف نجد أن الأستاذ زكى محمد حسن نفسه يعترف باستمرار أثر الفن الساسانى فى إيران فى القرون الأولى من العصر الإسلامى

وإذا استعرضنا تاريخ إيران فى العصر الإسلامى(١) نجد أنها ظلت تحت الحكم المباشر للدولة العباسية فى بغداد إلى سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) أى سبعين سنة فقط . فقد قامت فى إيران بعد ذلك عدة دول كان بعض أمرائها يدعون أنهم من نسل الساسانيين ، وكانوا يشجعون الشعراء والفنانين على إحياء التقاليد الفنية الساسانية وقرض الشعر باللغة الفارسية ، فظهر بينهم « رودكى » عميد شعراء الفرس ، وكتب الفردوسى ملحمته « الشاهنامة »

(١) راجع الدكتور زكى محمد حسن « التصوير فى الإسلام عند الفرس » ص ٧ وما بعدها

وهذه الدول هى : الطاهرية والصفارية والسامانية ودولة بنى بويه

ويقول المؤلف (ص ١٧) : إن الطراز العباسى فى إيران يمتاز فى الفنون التطبيقية أو الفرعية باستخدام الموضوعات الزخرفية الساسانية مع تهذيب بسيط يجردها فى بعض الأحيان من العنف والقوة

وهذا يقارب فى مجمله — وإن كان يتناقض فى الموضوع — مع ما قاله الأستاذ بوب(٢) من أن الطرز الإيرانية أيام حكم الخلفاء العباسيين ، استمرت تظهر فى صفات الحماسة والبطولة الساسانية ، فكل شىء كان بسيطاً وجريئاً وقوياً ... وفى جهات معينة من إيران تحكم خلق البساطة والقوة هذا فى الفنون خمسة قرون أخرى بعد الفتح الإسلامى

وإذا بحثنا فى إيران عن تأثير الطراز العباسى — أو بعبارة أخرى طراز سامرا (٨٣٨ — ٨٨٣ م) ، وهو أول الطرز الإسلامية الحقة — نجد أن هذا الطراز الجديد فى الإسلام يظهر فى إيران بعد هجر سامرا بمدة طويلة ، أى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وذلك فى جامع نايين ، وقد قال الأستاذ بوب فى ذلك(٣) :

« حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد نجد الطراز الجديد مجسماً تجسيماً بديعاً فى الزخارف الجصية فى نايين ، وأخذت هوامش نسخ القرآن الشريف تغنى بالرسوم الدقيقة ؛ وفى هذا الوقت بدأت تختفى التقاليد الساسانية فى الحيوانات الخرافية ، ولكن قوة الفن الساسانى لم تنهك بعد ، بل استمرت فى التعبير عن نفسها فى الأشكال القوية النبيلة من الأوانى النحاسية التى كانت تنادى بما ورثته من شعب الأبطال الساسانى بالرغم من التكفيت (التطعيم فى النحاس) الذى كانت غنية به ، ولا تزال الموضوعات والزخارف الساسانية ترسم إلى يومنا هذا »

ومما تقدم يتبين أن اصطلاح « الطراز العباسى » لا يمكن إطلاقه على الفن الإيرانى فيما بين الفتح الإسلامى لإيران والعصر السلجوقى ، وكذلك لا يمكن إطلاق اصطلاح « عصر الانتقال » على هذه الفترة لأن التأثيرات الساسانية الفنية — كما رأينا — استمرت حتى بعد ذلك العصر . وإنى أقترح لهذه الفترة استعمال

(٢) A. U. Pope : An Introduction to Persian Art after the Seventh Century, Oxford 1930, p. 8.

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠

« العصر الإسلامى الأول » Early Islamic Period ، وهو نفس التعبير الذى يستعمله مؤرخو الفنون الإسلامية الذين اشتركوا فى كتابة كتاب A Survey of Persian Art [٤] عند تقسيم كلامهم فى الموضوعات المختلفة عن الفن الإيرانى فى العصر الإسلامى [٥]

وإذا رجعنا إلى كلام المؤلف نجد أنه لم يستعمل اصطلاح « الطراز العباسى » فى كتابه إلا فى موضعين اثنين : أحدهما (ص ١٧) عند تقسيم الطرز الإيرانية ، والثانى (ص ٢٩٠) حين تكلم عن « أثر إيران فى الطراز الإسلامى العباسى » . أما فى باقى أبواب كتابه فلم يحافظ على هذه التسمية ، بل استعمل اصطلاح « فجر الإسلام » [٦] متأثراً فى ذلك — كما يبدو لى — بطريقة S. P. A.

وفى كلام المؤلف عن الطراز السلجوقى قال فى (ص ٢٤) « أجل ، وفق الخزفيون بمدينة الرى فى القرن السادس (منتصف القرن الثانى عشر الميلادى) إلى صناعة الخزف ذى البريق المعدنى ويسمونه مينائى »

وأظن أن هذا غير ما يقصده المؤلف ، لأن الخزف ذا البريق المعدنى نوع آخر يختلف عن الخزف المسمى مينائى كما ذكر ذلك فيما بعد (ص ١٦٨ ، ١٨٩) . وأظن كذلك أن المؤلف يقصد هنا النوع الثانى فقط ، لأن الخزف ذا البريق المعدنى معروف منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) (ص ١٧٢) ، ولأن نسبته إلى إيران لا تزال موضع خلاف بين مؤرخى الفنون (ص ١٦٩)[٧] ، وفضلاً عن ذلك يقول الأستاذ بوب[٨] إن نوع الخزف فى البريق المعدنى فى مدينة الرى « أخذ فى الانحطاط المستمر منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، وربما يرجع ذلك لسببين : ازدياد ضغط مزاحمة الخزف ذى البريق المعدنى المصنوع فى مدينة قاشان ، وارتقاء صناعة جديدة فى نوع معين من الزخارف على الخزف ، قدر لها أن ترفع الفن إلى منتهى درجات الكمال » إلا وهى صناعة الخزف المسمى « مينائى »

والآن إذا حذفنا كلمات « الخزف ذى البريق المعدنى » من جملة الدكتور زكى السالفة الذكر ، فإن العبارة التى تتلوها فى كتابه لا تتناسب تماماً فى معناها مع وصف الخزف من نوع « مينائى » [٩]

وفى كلام المؤلف عن العمارة يقول (ص ٥٠) تحت عنوان « العقد المدبب الإيرانى » ، « وفى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ذاع استخدام العقد المدبب ، الذى أصبح من ميزات العمارة الإسلامية . وسرعان ما عم استعمال العقد المدبب فى كل العمائر الإيرانية وصار ينسب إلى إيران » ، وكذلك فى (ص ٢٩٠) يقول المؤلف : « ويمكننا أن نتبين الأساليب الفنية التى انتقلت منها (بغداد) إلى سائر الأقطار الإسلامية ، والتى لا شك فى أنها إيرانية الأصل ، ومن ذلك العقد المدبب »

ولم يذكر لنا المؤلف هنا المراجع التى اقتبس منها والتى جعلته يقطع بأن العقد المدبب إيرانى الأصل ، مع أنه ذكر بين المراجع التى جمعها فى آخر الكتاب عدة كتب عن العمارة . يقول الأستاذ كريسويل فى أحدها ما يأتى [١٠] : « وهكذا يتبين أن السبعة نماذج الأولى من هذا الشكل (العقد المدبب) توجد كلها فى سوريا ، وبناء على هذه الحقيقة يجب ألا نأخذ بآراء الأساتذة رودوكاناكيس Rhodokanakis وديسو Dussaud وديل Diehl وهرتزفلد Herzfeld الذين يقولون إن العقد المدبب إيرانى الأصل »

وهذا رأى جدير بالاعتبار فى أن العقد المدبب ليس إيرانى الأصل . وقد كنا نود لو أن المؤلف ناقش هذا الرأى لنعلم الأسباب التى جعلته يقطع بأن العقد المدبب إيرانى الأصل . وكذلك فى كلامه عن الأقباء والقباب والمآذن والقرنصات لم يذكر من المراجع سوى « دائرة المعارف الإسلامية »

وعلى ذكر المراجع أقول : إننى عندما لاحظت قلة عدد المراجع التى ذكرها المؤلف فى حواشى كتابه بالنسبة للعدد الكبير من المراجع التى جمعها فى آخر الكتاب ، رأيت أن أعدها بنفسى

(٤) A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the Present, editor, Arthur Urpham Pope, Assistant editor : Phyllis Ackerman, Oxford 1938 — 1939. وسأستعمل لهذا الكتاب هنا الحروف : S. P. A.

(٥) انظر S. P. A. ج ٢ ص ١٤٦٥ و ١٤٦٦ و ج ٣ ص ١٩٩٥ و ٢٢٧٦ و ٢٤٦٦ و ٢٥٩٠ و ٢٧٠٠ .

(٦) انظر ص ١٦٥ و ١٦٩ و ٢١٠ و ٢٣٧ .

(٧) راجع أيضاً A. U. Pope, Ceramic Art in Islamic Times in : S. P. A., II p. 1487 ff.

(٨) نفس المرجع ، ص ١٥٠٩ وما بعدها .

(٩) من هذا النوع من الخزف انظر A. U. Pope ، نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٥٠٩ وما بعدها .

(١٠) انظر ص ٢٨٠ من كتاب : K. A. C. Cerswell; Early Muslim Architecture, Oxford 1932.



حول العصبية في الجماعات الدينية

يا أخى الأستاذ الزيات

السلام عليكم

قرأت الآن مقالك « العصبية داؤنا الموروث » فرأيته نفثة من عربي مصري مسلم يأسى لما جره الخلاف على قومه في ماضيهم وحاضرهم، ويطب لهذا الداء بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعوت لك ولكل داع إلى الخير فينا ، وسألت الله أن يجمع عقولنا وقلوبنا وأيدينا على الحق والخير . ولكنى أخذت على الأخ أنه عدّد الجماعات الإسلامية في مصر ، بعد أن عدّد الأحزاب السياسية ، يرى أن هؤلاء وهؤلاء أنشأتهم العصبيات وفرقت بينهم . ولست أرى رأيك في الجماعات الإسلامية التي ذكرت ؛ فما أحسب أن تعددها لعصبية أو تنافس، ولكن أراه تعاوناً على مقصد عظيم ، تتوسل كل جماعة بإحدى وسائله . وحسبك حجة على ما أقول أن هذه الجماعات لا تختلف فيما بينها ولا تتحاسد ولا يفترى بعضها على بعض ؛ وكثيراً ما تتعاون في أعمالها ، وإن هذه الجماعات لا ينال القائمين بها إلا إنفاق أوقاتهم وأموالهم ابتغاء الخير ولا يطمع أحدهم في جر مغنم نفسه أو نيل سلطان من وراء عمله .

وقد دعا داع إلى توحيد هذه الجماعات فلم ينفر أحد من هذه الدعوة بل تلقتها الجماعات بالتفكير فيها والنظر إلى ما يرجى منها . وإذا رأوا أن توحيد الجماعات أجدى عليهم ، وأقرب إلى غايتهم ، فعلوا غير مفكرين في عصبية أو هوى أو رياسة أو جاه .

فإن استثنى الأستاذ الفاضل هذه الجماعات من داء العصبيات كان أقرب إلى الصواب ، وحسن الظن ، والسلام .

عبد الوهاب عزام

يا أخى الدكتور عزام

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، لأنى أعلم أن إخوان (قبة الغورى) لم يتآخوا إلا لجمع شتات المسلمين وأجناسهم على كلمة التوحيد ، وهم بطبيعة مبدئهم لاينفرون من دعوة الاتحاد . أما الجماعات الأخر فإن عندى من أخبارهم ما يدل على أن مابينهم من التنافس والتحاسد مثل ما بين الأحزاب السياسية من ذلك . ولنا عودة إلى هذا الموضوع

(الزيات)

شعر ذو وجهين

في أواخر سنة ١٩٤٠ تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك برتبة « باشا » على الوزير العالم الفيلسوف الشيخ مصطفى عبدالرازق باشا ، وغداة ذلك اليوم أسمعنى صديقى الشاعرالشيخ أحمد الزين أبياتاً في تهنئة الوزير على مسمع من زملائنا بدار الكتب وحملني أمانة روايتها إلى معالى الوزير — ولعلى فعلت

وفي فبراير سنة ١٩٤١ تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك برتبة (البكوية) على الأديب الكبير الأستاذ أحمد بك أمين، وإذا بمجلة الثقافة تنشر الأبيات نفسها موجهة إلى الأستاذ أحمد أمين بك في عددها الأخير

أما الأبيات فهي :

حبوه بهـــا أم حبوها به   لقد حرت : أيهما يزدهى ؟

وما فخر من ليس بالمنتهى   على أن تقلّد ما ينتهى ! !

لقد نلت ما تشتهى من فخار   ونال بك الفخر ما يشتهى

وليس الشاعر هو الذى (حار) وإنما الحائر

« أ . ا »

إلى ناقدى لغة في مقالي الثالث

قلت أيها الناقد المشكور : « من النفع والخير أن يخلى الكبار في حين من الأحايين حتى ينقدوا فتغنى اللغة ويستفيد الناس » . وأنا معك فيما تقول ، ولكنى أزيد : « ومن السهل

على سبيل العلم بالشيء ، فوجدت أنه ذكر في حواشي الكتاب واحداً وستين مرجعاً فقط من المئتين والثلاثة والعشرين مرجعاً المذكورة في آخر الكتاب . وقد كان بودي لو أن المؤلف أكثر من كتابة الحواشي وذكر المراجع التي أخذ منها لتتم الفائدة العلمية . وبهذه المناسبة أقول إن عدد المراجع ٢٢١ لا ٢٢٣ لأن المرجع رقم ٤ تكرر في رقم ١٩ ، والمرجع رقم ١٢٦ تكرر في رقم ١٣٠ . وإذا أضفنا إلى هذه المراجع ٦٤ مرجعاً آخر ذكرها المؤلف في حواشي الكتاب ولم يذكرها مع المراجع في آخره ، كان عدد المراجع التي جاء ذكرها في هذا الكتاب ٢٨٥ مرجعاً .

محمد مصطفى

(له بقية)

أن يقال لكاتب عربي قد أصبت ، ولكن من الصعب أن يقال له إنك أخطأت » . وإنما زدت ذلك لأن لغتنا كثيرة مناحي الصواب ، ومن هذه الناحية خذ فيما سألت الجواب :

١ — أخذت على جمع نخور على نخورين بالتصحيح حاتماً أن يكون جمعه على نُخُر بالتكسير، تريد أن نخوراً وصف مشترك بين الذكور والإناث وما كان كذلك لا يجمع جمع تصحيح ، ولكنك نسيت أن هذا الشرط محل خلاف بين النحويين ، ولم يكن المنابذون له آحاداً، إنما كانوا الكوفيين جميعاً ، ورأيهم أخذت مؤثراً له على رأي البصريين لما في تصحيحه من إزالة اللبس، ولأن في سياق عبارتي من التناظر ما يقتضيه ، فهو مسبوق فيها بجمعين صحيحين كما نقلت وهي : « ثم سل تلاميذي الذين تتحدث عنهم يخبروك بما يفحمك مخلصين صادقين ونخورين بتلمذتهم لي » . ألست ترى أني لو قلت : « مخلصين صادقين ونخراً » لضاع جرس الكلام ؟

٢ — وأخذت على إدخال هل في قولي : « فهل لا زلت على هذه المباهاة » على نافٍ وهي لا تدخل على ناف أصلاً محتجاً بقول الرضي، كما أخذت علي في تلك العبارة نفسها إدخال لا على ماض غير مستقبل في المعنى ولم يكرر هو « زال » محتجاً بما بينه المغني . وأنا أسلم بقول الرضي ، ولكني لا أسلم بأنها دخلت هنا على ناف، فإن الفعل زال ليس فعلاً تاماً وإنما هو فعل ناقص يستلزم كسائر إخوته نافياً قبله، ولو حذف لقدرناه ، وذلك ليفيد مع هذا النافي الاستمرار ثم هو يكون للمستقبل لا للماضي .

ألا ترى أن معنى قولي : « فهل لا زلت على هذه المباهاة » هو : « فهل تستمر على هذه المباهاة » . أما إدخال « لا » على ماض غير مستقبل في المعنى إلا مع التكرار فضلاً عن أن المعنى هنا للمستقبل كما تقدم هو محل خلاف ، وقد دخلت « لا » في الفصيح على الماضي الصرف من غير تكرار ، قال الله تعالى : « فلا اقتحم العقبة »

٣ — ثم أخذت علي قولي : « ومع هذا فإليك رأيي في تلك المباهاة » فاهماً أن « إليك » معناه تباعد وتنح ، ولكن له معنى آخر هو خذ وإياه أردت . قال صاحب القاموس وهو يذكر معاني « إلى » ما نصه : « وإليك عني أي أمسك وكف ؛ وإليك كذا أي خذه » . على أن عبارتي لا تحتم أن يكون « إليك » فيها اسم فعل بل تسمح على أنه جار ومجرور محذوف المتعلق المفهوم هو « أسوق » مثلاً والمعنى صالح على التخريجين

هذا ما به أجيب في إيجاز وهو محقق لما تريد من غنى اللغة واستفادة الناس ، وإليك سلامي .

الصباحي بيومي

المجمع اللغوي وتشجيع الإنتاج الأدبي

قررت لجنة الأدب — في المجمع اللغوي — وضع القواعد الآتية لتشجيع الإنتاج الأدبي

أولاً : تؤلف اللجنة العامة للأدب ثلاث لجان فرعية : لجنة للشعر، ولجنة للقصة والرواية ، ولجنة للمقالات والبحوث الأدبية من نقد وتاريخ ونحوها

ثانياً : على كل لجنة من هذه اللجان أن تتقصى الإنتاج الأدبي في الفرع الذي أسند إليها ؛ وأن تقدم تقريراً في شهر ديسمبر من كل سنة بملاحظاتها للجنة العامة ، يشتمل على سير الحركة الأدبية في مصر والعالم العربي طول العام ، وعلى ما يمكن أن يمتاز من الإنتاج في هذا الموضوع امتيازاً يقتضي تشجيع صاحبه تشجيعاً معنوياً أو مادياً

وعلى اللجنة العامة أن تدرس هذه التقارير في شهري ديسمبر ويناير وتعرض تقريرها على مجلس المجمع في شهر فبراير

ثالثاً : يعقد المجمع جلسة علنية في شهر مارس ، تعلن فيها قراراته في ذلك وأسبابها ، وينوه فيها بما استحق التنويه به من الآثار الأدبية

رابعاً : ينشئ المجمع بنصف المبلغ المحدد في ميزانيته لتشجيع الإنتاج الأدبي جائزتين يمنحان كل عام بعد مسابقة في فرع من الفروع الأدبية يتغير من عام إلى عام

وينشئ المجمع بالنصف الآخر جوائز تمنح لخير ما يكشف من الآثار الأدبية

خامساً : الآثار الأدبية التي تجاز هي التي تتحقق فيها الشروط الآتية :

(ا) أن يكون الأثر مظهراً للانتاج المستقل

(ب) أن يأتي في بابه بفائدة محققة

(ج) ألا يكون قد سبق نشره قبل السنة التي تتناولها تقارير اللجان التي سبقت الإشارة إليها

سادساً : لا يجوز لأعضاء المجمع أن يشتركوا في المسابقات ولا يجيزهم المجمع ، ولا ينوه بأثر من آثارهم الأدبية

حول مبدع فن المقامات

كثر الكلام في هذه الأيام على نص زهر الآداب الذي يجعل ابن دُرَيد أبا عُذْر المقامات ومبدعها ، وقد وقف على هذا النص في هذا المعنى الدكتور زكي مبارك أو غيره ، وإني وقفت على كلام للشريشي شارح المقامات الحريرية يذكر فيه هذا النص وأرى أن أسوقه هنا وهو هذا : « وذكر الحصري رحمه الله في كتاب الزهر أن الذي سبَّب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثاً ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، على طبع العرب الجاهلية ، بألفاظ بديعة حُوشيَّة . فعارضه البديع بأربعمائة مقامة لطيفة الأغراض والمقاصد ، بديعة المصادر والموارد » . أنظر ج ١ ص ١٢ من هذا الكتاب

محمد على النجار

من أدب آل عبد الرازق

منذ أيام توفي خادم من خدم بيت آل عبد الرازق ، فخرج أهل الفقيد ومعارفه يشيعونه ، وخرج فيهم ، وسار في مقدمتهم ، صاحب المعالي مصطفى عبد الرازق باشا يشيع الفقيد إلى مقره الأخير .

رأى الشاعر ذلك المنظر ففاض إعجابه بهذا المظهر النبيل بهذه الأبيات :

يا مصطفى ، إن المكارم لم تزل ... فيكم ، ومنكم تستمد جمالها
نشأت ببيتكمُ ، فكانت منكمو ... نسباً ، وكنتم في الحقيقة آلها
إن المعالي عند قوم رتبةٌ ... وأراك تشرح للورى أعمالها
أنشر مناهجها على طلابها ... واضرب لنا يا مصطفى أمثالها
علِّم ، فإنك كنت خير معلم ... إن المكارم أصبحت يرثى لها !
تمشي تشيع خادماً مستعبراً ... مستشمراً عند المنون جلالها
وتسير حولك زمرة من جنسه ... ألفوا المذلة واكتسوا أسمالها
أنا ما عجبت فإنني أدرى بكم ... لكن رأيت الناس قالوا : يا لها !
إن قلت : ما أديت إلا واجباً ... قلنا : فمن في مثل فضلك قالها !
عش للمروءة راعياً من بعد ما ... يَتِمَت وأفنى ذا الزمان رجالها

محمد جاد الرب

ولم يسعه إلا أن يرسل إلى معاليه هذه الأبيات ، فتلقى من معاليه الرد البليغ الآتي :

حضرة الفاضل الأديب الأستاذ محمد جاد الرب

السلام عليك ورحمة الله وبركاته — أما بعد ، فقد تلقيت كتابك البليغ في شعره ونثره ، والبليغ في إعرابه عن عواطف نفس فاضلة تسارع إلى التشجيع على مكارم الأخلاق ، وتلمح أدنى مظاهر الوفاء فتجعل منه فضلاً كبيراً .

ولقد وقع في نفسي أبلغ وقع ما وجهه إليّ الأستاذ من كلمات عطف وود ، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنه ، وأن ينفعني ببركة دعائه ، ولا يفتني بعظيم ثنائه . وحيا الله الأستاذ وبياه

مصطفى عبد الرازق

رحلة الشتاء والصيف

كتب الأستاذ أحمد أمين في العدد الهجري الممتاز من مجلة الثقافة (سيرة الرسول في كلمة) وقد جاء في مقالته ما يلي :

« وجده هاشم — والضمير يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم — صاحب إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . سنّ لهم رحلة اليمن والحبشة في الصيف ، ورحلة الشام في الشتاء الخ ... »

وكان مستنداً في هذا إلى قوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف »

وقد لحظت الخطأ الظاهر في ذلك القول منذ أول قراءتي المقال ، ولكنني كنت أظن أن الأستاذ الفاضل سينتبه إليه ، ويعود إلى تصحيحه ، وقد مرت بضعة أسابيع دون أن يفعل ، فرأيت من الخير أن أعود إلى الموضوع منوهاً عنه بكلمتين . بإذن الأستاذ الزيات مجل الله في شفائه

فمن المعروف أن رحلة الشتاء لم تكن إلى الشام ، ولا رحلة الصيف إلى اليمن والحبشة ، وإنما الأمر بعكس ذلك تماماً ؛ وليس من المعقول أن يرحلوا إلى الحبشة واليمن في وقد الصيف وحره ، أو يقصدوا الشام في برد الشتاء وزمهريره . وقد جاء في الجزء الثاني من (الكشاف) للزمخشري (الطبعة الأولى المطبعة البهية المصرية سنة ١٩٢٥) صحيفة ٥٦١ سطر ٣٠ — ٣٢ في تفسير الآيتين الكريمتين المذكورتين آنفاً ما يلي : « وكانت لقريش رحلتان ، يرحلون (في الشتاء إلى اليمن) ، (وفي الصيف إلى الشام) ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته ، فلا يُتعرَّض لهم ، والناس غيرهم يُتخطَّفون ويغار عليهم » وكذلك في البيضاوي وسائر التفاسير

والمسألة قد تكون من باب السهو أو العفو ، وأغلب الظن

أنها كذلك؛ إلا أن الخطأ فى مثل هذه الأحوال لا يجوز، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على عدم التدقيق . لذا رأيت المبادرة بتصحيح ذلك واجباً لأنه يتعلق بما جاء فى القرآن الحكيم، ويمت إلى تاريخ قريش بأسباب ، وسبحان من تفرد بالعصمة

نجدة فتحى صفوة

شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذى

جمعت شافية ابن الحاجب زبدة فن التصريف فى أوراق قليلة ، وشرح الاستراباذى عليها شرح جليل الباحث ، جزيل الفوائد ؛ جمع بين تدقيق ابن جنى ، وتعليل الأنبارى ، وترتيب المازنى ، وتمثيل سيبويه . وقد وفق الله السيد محمود توفيق الكتبى فطبع هذا الشرح الجليل مع شرح فوائده للعلامة البغدادى صاحب خزانة الأدب ، بعد أن وكل مراجعة أصوله ، وضبط مبهماته ، وشرح مفرداته ، والتعليق على مسائله ، لثلاثة أساتذة من خيرة المدرسين فى كلية اللغة العربية فجاء الكتاب على خير ما يحب طلاب العربية من دقة التصحيح ، وشدة التمحيص ، وجودة الطبع

تصويب

جاء فى كلمتى فى العدد ٤٠١ من « الرسالة » — ص ٣٠٤ ما يأتى : والواقع أنه (أى مفتاح) والصواب : (أى مفاتح)

(ع . ا)

تصويب

وقع نظرى فى عدد الرسالة الممتاز ٤٠٠ على تحريف لبعض آى الذكر الحكيم ، فرأيت أن أنبه عليه ، خصوصاً وقد صدرت الأعداد التى تلته خالية من تصحيح ذلك التحريف

ورد فى مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف (ص ٢٥٣) استشهاد بقول الله تعالى : « والأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه » والصواب «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »

وفى مقال الأستاذ الدكتور عبد الواحد وافى (ص ٢٦٧) استشهاد بقول الله تعالى : « ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً محصوراً » والصواب « مدحوراً »

أحمد محمد شكم



سكون العاصفة

للأستاذ محمود البدوى

كان خالد أفندى يتردد على مقهى « الحرية » فى مدينة المنصورة أصيل كل يوم . ومع أن المقهى يشرف على النيل ، ويقع فى أجمل بقعة فى هذا البلد ؛ فإنه لم يحاول مطلقاً أن يملأ عينيه مما حوله من جمال وسحر ... فهو لم يشاهد منظر غروب الشمس فى النيل ، ولا طلوع القمر من وراء السحاب ، ولا الزوارق الشراعية وهى تسبح فى ظل الغسق . . . كما أنه لم يعبر جسر طلخا قط ، ويرى ما وراء الجسر من مناظر خلابة فى مدى السنين التسع التى قضاها فى المنصورة منذ أن نقل إليها كاتباً فى تفتيش الرى !

وكان يجلس على ناصية الطريق زمن الصيف ، فإذا جاء الشتاء انتقل مع الجالسين إلى الجزء الشتوى من المقهى على الرصيف الآخر من الطريق ، وألقى بنفسه فى مكان ضيق يعج بالخلق ويزهق الأنفاس . هذه المقاهى الغريبة المنتشرة فى طول البلاد وعرضها تضم خلقاً عجيباً من صعاليك الأرض ، ومحترفى النرد ، وأصحاب العقول الذهبية الذين يدخلون أنوفهم فى كل شىء على ظهر البسيطة ، وينتقدون أنظمة الاجتماع الإنسانى قاطبة ! ويشعرون بأنهم ضحية نظم فاسدة لا سبيل إلى إصلاحها ! فما يعوزهم هو شىء خارج عن نطاق البشرية وحدودها ! على أن خالد أفندى كان يختلف عن هؤلاء جميعاً ، فهو رجل قد جاوز بسنه عمر الشباب ، وحاد بتفكيره عن تفكير المخبولين ! ... بيد أنه كان يتفق معهم فى الحيرة والقلق ، والشعور المطلق بالنقص أبداً ، ولهذا ظلت حياته تسير على منوال واحد ممل معذب ... وكان قد أدرك الجيل الذى يتزوج فيه الشبان قبل الأوان ، فتزوج معهم وأنجب ، وكان زواجه من فتاة طيبة من أسرة كريمة ، والأسر الكريمة كثيرة الود ، فالزوجة عند عماتها وخالاتها ، وخالات عماتها وعمات خالاتها ! كما أنهم محط الرحال فى المدينة لكل من يشرف المدينة من الأهل والصحب . ولهذا فر خالد أفندى من المنزل إلى المقهى ، وقعد على حافة الطريق يرقب الرائحات والغاديات بعين عطشى ...

ولما امتد لهب الحرب ، وكثر عدد المهاجرين إلى الشرق ، اكتظت المنصورة بالخلق ، وازدحم منزل خالد أفندى بأفراد أسرته من المدن المعرضة لشر الغارات . فلما مضت الأيام على غير حادث ، وقفت حركة الهجرة ، وسئم المهاجرون تكاليف العيش الجديدة ورجعوا إلى بلادهم بالتدريج ، ورحل ضيوف خالد أفندى ورحلت معهم زوجته ، فقد رافقت أختها إلى القاهرة . وهكذا أصبح خالد أفندى وحيداً فى المنصورة ، أو أعزب إلى أجل ! وتنفس الصعداء ، وشعر بالحرية المطلقة فى غدوه ورواحه ، وراح يحن إلى أيام شبابه ولهوه .

وكانت تمر أمامه ، بعد غروب كل شمس ، فتاة رائعة الحسن جذابة الملامح ، من هؤلاء اللواتى تدفعهن الفاقة إلى العمل . كانت تبيع الحلوى ، وتمر على الجالسين فى المقهى ضاحكة مازحة . وكانت تخص خالد افندى ببعض وقتها ومزاحها ، لأنه رجل وقور حسن السمعة ! وكان يمازحها ويتلطف معها فى الحديث . ثم يشيعها بنظراته النهمة . وكان جسمها أكبر من سنها بارز المفاتن رائع التكوين . وفى عينيها بريق وإغراء قل أن يجتمعا فى عينى امرأة . وكان خالد افندى يدرك هذه المحاسن كلها ولكنه كان يرد نفسه عنها تورعاً . على أنها لما مرت أمامه فى ذلك اليوم تثنى وتميل بجسمها وعلى شفتيها الرقيقتين ابتسامة ، وفى عينيها ذلك البريق الأخاذ استوقفها وابتاع منها بعض الحلوى ، وهو يضاحكها ويداعبها . ثم همس فى أذنها كلاماً فتورد وجه الفتاة ، وغضت رأسها . ثم مضت عنه ، وهى تهز رأسها ضاحكة وغابت فى جوف الظلام

وظل ساكناً في مقعده لحظات. وهو ينفض المكان بعينيه ويرقب! ثم اندفع في الطريق الذي سارت فيه، وقد زاده تمنع الفتاة حماسة وثورة. وأوسع المجال لخطاه لما اجتاز المقاهي المتناثرة على حافة النهر حتى بدأ يلهث وينفض جسمه العرق. يا لله ... إنه يسير الآن في الطريق الذي كان يتنزه فيه مع زوجه وأولاده مساء كل خميس حتى يبلغوا شجرة الدر! لقد مات الآن في نظره كل شيء وانمحت الذكريات وأسدلت الستر على الماضي كله بخيره وشره. وأصبح لا يرى الآن تحت تأثير العاصفة التي ألهبت جسمه وأشعلت النار في كيانه، غير نساء عاريات سابحات في النهر يتضاحكن ويهتفن به!

وبصر بها وهي تجتاز ميداناً صغيراً على رأس الطريق ينعطف إلى المدينة، فجمع حواسه في باصرته، وانطلق في أثرها

***

ومضى معها تحت ستار الظلام إلى البيت، ودارت ببصرها في جوانب القاعة في تهيب وخجل. ثم جلسا للعشاء، فأفرغها على الشراب، فزال عنها حياؤها بالتدرج، وتفتحت نفسها، فانطلقت تغني وتتبختر في أرض الغرفة كالطاووس الجميل

ولعبا بعد ذلك الورق وتكدست أمامها أكداس القروش! فرمقته بعينيها وسألته وهي سكرى: «هل تعطيني كل هذه النقود حقاً؟» فضحك وطمأنها

وظهر عليها التعب وبدأت تتثاءب. ورف لون وجهها من فعل الخمر، وانفرجت شفتاها، واحمرت عيناها، وثقلت أهدابها وتفككت أوصال جسمها. فارتمت على أريكة بالقرب من المائدة وظلت تحادثه من حين إلى حين، وتنظر إليه بعينيها الناعستين، حتى أحست بلين الفراش فنامت ...

وبقي في مكانه يحتسي القهوة ويدخن، وعيناه سابحتان في قرار الكأس. ثم رفع بصره إليها، وهي نائمة حالمة، وقد تهدل شعرها، وتوردت وجنتاها، وظهرت على وجهها كله آيات الطفولة البريئة، وانمحت تكاليف العيش ومظاهر الصنعة من جسمها ونفسها ... فأشرق روحها وبدت على فطرتها ... وبان لون جسمها في بياض العاج ونعومة الحرير، وكانت إحدى ذراعيها تحت رأسها والأخرى عند خصرها . . . فتحرك الجسم قليلاً وارتفعت الذراع حتى جاوزت العنق، وغاصت الأنامل الرقيقة في الخد المورد، وانحسر الثوب عن الساق، وانزاح الشعر عن الجبين، واهتزت الشفتان قليلاً، وتحرك الجسم حركة من يود الصحو؛ على أن الأهداب بقيت مطبقة، والأجفان مسبلة، والنفس هادئاً حالماً

ونظر إلى هذه الصورة الرائعة وهو سادر ساهم، فنهض عن مقعده ووقف أمام النافذة المغلقة، وفتح مصراعيها، ومر هواء الصيف المنعش على وجهه وأشرف على الليل، وأطل على الوادي الصامت. ورأى لأول مرة في حياته محاسن الطبيعة، وبدائع ما أبدع الله وصور، واعتمد بجسمه على النافذة وبصره يخترق حجب الليل ويعبر النيل والجسر وماوراء الجسر، حيث تتجلى الطبيعة في أروع صورها، وسبحت عيناه في الظلام، واستغرق في تأملاته ومرت في ذهنه صور كثيرة واضحة وغامضة ... الحرب ... والغارات ... والريف ... والقرية ... وزوجه ... وأولاده ... وشعر بطراوة الهواء ولينه وهو يصافح وجهه، وبجسمه يعود إلى حالته الطبيعية، ورأسه يصفو من فعل الخمر، فانثنى من النافذة، وانطلق يتمشى في أرض الغرفة، وعينه على الفتاة النائمة ووقف أمامها لحظة ... ثم انحنى عليها، وحملها على ذراعيه كطفل صغير، ومشى بها إلى مضجعه، وأضجعها على السرير بحنان ورفق، وأسدل على جسمها ملاءة خفيفة، وأبقى وجهها الناضر عارياً، وانسحب من الغرفة سائراً على أطراف أصابعه!!

ونام على أريكة في الردهة نوماً عميقاً هادئاً تشوبه ألذ الأحلام

محمود البدوي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)